 https://doi.org/10.12816/0054743

Al Sa'aleek between Self-Identity and Social (Oppression (Psychological Social Study

Dr. Oraib Mohammad Eid
Researcher from Jordan
eid.oraib@yahoo.com

Received 11/12/2016 Accepted 7/6/2017

Abstract

This study deals with the phenomenon of Sa'alaka in its various dimensions and the impact it had on the tendencies and behavior of the Sa'aleek. It also sheds light on their community, environment, families and internal and external motives. To illustrate this, the study uses both psychological and social interpretations, quoting lines of poetry where required.

Keywords: Sa'aleek, pre-Islamic era, psychological interpretation, social interpretation.

https://doi.org/10.12816/0054743

الصّعاليك بين الذّات وقهر المجتمع (دراسة نفسيّة اجتماعيّة)

د. عريب محمّد عيد
باحثة من الأردن
eid.oraib@yahoo.com

Received 11/12/2016 Accepted 7/6/2017

الملخّص

تتناول الدّراسة ظاهرة الصّعلكة بأبعادها المختلفة، وأثرها في توجّهات الصّعاليك وأفعالهم، ثمّ تسلّط الضّوء على مجتمعهم وبيئتهم وأُسَرهم ودوافعهم الدّاخليّة والخارجيّة للصّعلكة؛ ولتجلية ذلك تستعين الدّراسة بالتّفسيرين النّفسيّ والاجتماعيّ؛ مع الاستشهاد بأبيات شعريّة حيثُ اقتضى الموضع.

الكلمات المفتاحيّة: الصّعلكة، العصر الجاهليّ، التّفسير النّفسيّ، التّفسير الاجتماعيّ.

توطئة:

يرى ابن خلدون أنّ المجتمع البشريّ في أصل تكوينه وتطوّره يتكوّن من البدو والحضر، وهما يختلفان في أوصاف كلّ منهما النّفسيّة والبدنيّة والاجتماعيّة، فالبدو أقرب إلى الشّجاعة والتّضامن والعصبيّة والخلال الحميدة، وأسرع إلى التّقلّب، والحضر أقرب للرّفاهيّة والتّأنّق وأبعد عن تلك الخلائق المحمودة[١].

ويشيرُ علماء النّفس والاجتماع إلى أنّ لكلّ مجتمعٍ خصائصه البنائيّة والسّلوكيّة؛ فنرى أنّ الحياة سخت على الحضر في المجتمع الجاهليّ، وأسبغت عليهم نعمًا كثيرةً في المطعم والملبس والمسكن، وشحّت على البدو في حاجاتهم الماديّة والمعنويّة، ومع عدم الاتّساق هذا في توزيع الثّروات في البيئة الجاهليّة، وعدم مراعاتها لحاجات الأفراد وقيمتهم الإنسانيّة تكون درجة التّضارب بين مصالح الأفراد، وتصبح حالة الانفصام أكثر إلحاحًا لتلبية الحاجات المفقودة عند الفئات المسحوقة، وذلك قدَرُهم كما يبيّن ابن خلدون[٢]: "وذلك لما اختصّوا به من نكد العيش، وشظف الأموال، وسوء المَواطن، حملتهم عليها الضّرورة الّتي عيّنتْ لهم تلك القسمة ... فصار لهم إلفًا وعادة، ورُبّيت فيها أجيالهم حتّى تمكّنت خُلقًا وجبلّة؛ فلا ينزع إليهم أحدٌ من الأمم أن يُساهمهم في حالهم".

ولمّا اتّسمت الحياة العربيّة في العصر الجاهليّ بالتّباين الحادّ في العرق والسّلوك والاقتصاد، فقدّ أدّى إلى تحوّلات نفسيّة واجتماعيّة؛ نجم عنها ظواهر جماعيّة معقّدة، كجماعة الصّعاليك.

وقد وجد الإنسان البدويّ لزامًا عليه التّعايش مع كثير من هذه المُعطيات، سواء أكان موقفه متناغمًا مع واقعه أم متعارضًا معه، محاولًا الحفاظ على مسلّمات متوارثة تقضي بضرورة الانتماء للقبيلة وإظهار الولاء لقادتها، والانطواء تحت مظلّتها، والدّفاع عنها عند التّعرض للأخطار؛ لكن يخفت بريق هذه التّبعيّة والانتماء للمجتمع القبليّ عندما تتعاظم أسباب التّمايز الطّبقيّ[٣]بين أفراد الجماعة الواحدة وخاصّة في مستوياتها: الاقتصاديّة والاجتماعيّة والنّفسيّة.

وهذه المتغيّرات خلقت واقعًا جديدًا لدى الصّعلوك من قِبَل الشّكل والمضمون، فصار في تجربته الإنسانيّة المعادل الموضوعيّ للفرد المسحوق الّذي تتصارع فيه النّزعات الدّاخليّة المدفوعة من غباته الطّبيعيّة ليبحث عن طرق الخلاص وتحقيق الذّات[٤]، ولو كان ذلك بعيدًا عن الجماعة الّتي أحسّ فيها بالظّلم والقهر.

وقد جاءت فكرة هذه الدّراسة لمعالجة الصّعلكة من منظار علميّ النّفس والاجتماع، بالولوج إلى نفسيّة الصّعلوك ثمّ بيان علاقته ببيئته وقبيلته والدّوافع المحفّزة له على الخروج من دائرة الجماعة الكبيرة منسحبًا؛ لتكوين أفراد عائلته الجديدة ممّن شاركوه الحالة، وعاينوا الوضع نفسه.

فهوم الصّعلكة:

ارتأيت عرض مفهوم الصّعلكة لغة واصطلاحًا بإيجاز؛ وبما يؤدّي الغرض الرّئيس للدّراسة؛ فقد أسهب عدد من الباحثين في بيان المفهوم[٥].

الصّعلكة: لغة: من مادّة "صعلك" فلانًا: أفقره. والصّعلوك الفقير الّذي لا مال له[٦]، **ويقال** تصعلكت الإبل: طرحت أوبارها وانجردت[٧]. وصعل تدلّ على صغر وانجراد، "والصّعل: هو صغير الرّأس من الرّجال والنّعام"[٨] ورأس مصعلك: مدوّر، وصعاليك العرب: فُتّاكها[٨]وذؤبانها، وكان "عروة بن الورد" يسمى "عروة الصّعاليك"؛ لأنّه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم بما يغنم.

وأمّا اصطلاحًا؛ فالصّعلوك هو الفقير الّذي يتّخذ من اللّصوصيّة وقطع الطّريق وسيلة للكسب بعد أنْ خلعته قبيلته، أو بعد أنْ خرج على الجماعة[٩]، إذًا فهو الفقير الّذي لا مال له يستعين به على أعباء الحياة، ولا أحد يتّكئ عليه أو يتكلّ؛ ليشقّ طريقه فيها، ويعينه عليها حتّى يسلك سبيله كسائر البشر الّذين يتعاونون على الحياة، يواجهون مشكلاتها يدًا واحدة.

والصّعلكة تدور في دائرتين[١٠]: دائرة لغويّة وأخرى اجتماعيّة، تبدأ الدّائرتان من نقطة واحدة هي الفقر، **فالدّائرة اللّغويّة** تنتهي حيثُ بدأت؛ يبدأ الصّعلوك فقيرًا ويظلّ كذلك في نطاقها، وأمّا **الدّائرة الاجتماعيّة** فتتّسع، تبدأ من الفقر؛ ولكنّها تحاول أنْ تنتهي بعيدًا عنه؛ يحاول الصّعلوك الخروج من نطاقها ليتساوى مع سائر أفراد مجتمعه "متّخذا منهجًا لجماعته الجديدة في الكدّ، يرفض القعود والانتظار ويرفض الكسل، ينتزع المال من أيدي الآخرين، ينفق بسخاء في مجتمع فوضوي"[١١]، وهذه الدّوائر الاجتماعيّة تجعله يسلك أيّ وسيلة أو طريق ردّ فعل لما وقع عليه من ضيم، رغبةً في التّغيير أو بلوغ غاية ماديّة أو معنويّة، ويشير ابن خلدون إلى طبيعة العرب: "فطبيعتهم انتهاب ما في أيدي النّاس، وأنّ رزقهم في ظلال رماحهم، وليس عندهم في أخذ مال النّاس حدّ ينتهون إليه؛ بلْ كلّما امتدت أعينهم إلى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه"[١٢].

ظاهرة[١٣] الصّعلكة:

الصّعلكة ظاهرة اجتماعيّة[١٤] إنسانيّة لها أسبابها ومسبّباتها، ولكن ما يلفت الانتباه حقًا، هو أنّ هؤلاء الشّعراء الصّعاليك جمعوا إلى السّيف والقلم التّشرد في الفيافي والقفار، وعبّروا عن ذلك كلّه في شعر ينمُّ على قدرةٍ فنيّةٍ ورؤيةٍ اجتماعيّةٍ نقديّةٍ، قدْ لا نجدها عند غيرهم من الشّعراء الّذين عَاصروهم.

ولعلّ هذا ما يدفعُ إلى التّروّي والتّأمل في التّعامل مع الظّاهرة، والنّظر والتّدقيق فيها بشيء من التّفحّص والتّأني؛ إذْ أكثر الدّراسات تسوّغ أفعالهم بمسوّغات نفسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة، وتعطيها صفة المشروعيّة؛ إمّا لأنّهم يرون أنّ القيم نسبيّة من حيثُ النّظرة الخارجيّة، فأيُّ إنسان قد يتحوّل إلى صعلوك؛ إذ يثورُ أو يتّخذُ – لسبب ما – موقفًا ثوريًّا ومغايرًا ورافضًا؛ لا يتماشى مع جماعته أو قبيلته، وإنْ شئت أسرته الصّغيرة، فتطرده وقدْ تهدر دمه، أو أنّهم – ودون أنْ يشعروا– يُسْقِطون رغبتهم الدّاخليّة في تغيير واقعهم الاجتماعيّ أو السّياسيّ المَعيش بأيدي هؤلاء الصّعاليك الّذين تحرّروا من ربقة العبوديّة، وسلطة القبيلة بسيوفهم أو شِعرهم، وفعلوا ما يعجزون هم عن الإتيان مثله أو حتّى رفضه؛ بعدّه من المُسلَّمات أو أنّها الأنظمة الّتي تحكم أفرادها ضمن شرائع عقديّة أو وضعيّة أو دساتير تفرضها الدّول والحكومات على رعاياها، أو أنّها أقدارٌ وتقسيمات إلهيّة لا دَخْلَ للبشر فيها.لكنْ ألا نرى أنَّ جوهر القيمة لا يتغيّر من الدّاخل، ولكن الاتّجاهات المختلفة هي الّتي تتدّخل في وصف فعل ما، فالبعض يصف عملًا ما إرهابيًّا ظالمًا، بينما البعض الآخر قد يصف الفعل نفسه عملًا بطوليًّا؛ إذًا مشروعيّة عمل ما أو حُرْمته، تخضع لتباين وجهات النّظر والاتّجاهات وزاوية النّظر إليه عند تقييمه. فالأشخاص الّذين ينحرفون عن بعض القيم الاجتماعيّة ليسوا بالضّرورة مرضى نفسيّين، والشّخص المنحرف من وجهة نظر مجتمع معيّن أو نسق اجتماعيّ بالذّات، قد يُنظر إليه بعدّه متمثّلًا أمرًا مَا أو مسايرًا لَهُ من منظور فلسفيّ وأخلاقيّ، وفي مدّة تاريخيّة معينة، فالانحراف[١٥]ليس مسألة فطريّة تظهر في السّلوك والاتجاهات؛ بلْ ظاهرة للتّفاعل الإنسانيّ في وضع معياريّ مُعيّن؛ وهذا ما يُسمى بـ"الانحراف الاجتماعيّ"[١٦].

وحين نقرأ حركة الصّعاليك فنحن أمام صورتين متباعدتين[١٧]: **صورة تراثيّة** : تمثّل اللّصوصيّة وقطع الطّريق، **وصورة مُحدثة** تناقضها: تمثّل صورة الثّوار الّذين رفضوا الفقر والهوان في مجتمع يقوده الأغنياء، ويسيطر عليه الأقوياء، فأعطوا أنفسهم الحقّ في إعادة توزيع الثّروات، بما تقع عليه أيديهم، فبذلك غدت الصّعلكة نزعةً إنسانيةً نبيلةً، وضريبةً يدفعها القويُّ إلى الضّعيف، والغنيّ إلى الفقير. فلأيّ الصّورتين نميل؟ بل ما الصّورة الّتي تصدّق المدلول التّاريخيّ لهذه الظّاهرة؟

قدْ يُرجّح البعض الصّورة الثّانية، صورة الثّوار أصحاب الرّسالة الإنسانيّة الّتي تسعى لتحقيق العدالة الاجتماعيّة، والتّوازن الاقتصاديّ بين طبقات المجتمع، كما هو الرّأي الرّاجح عند كثير من الباحثين، لكن السّؤال الّذي يُطرح: هل هذه الفئة تمثل حقًا مذهبًا لجماعة جاهدت من أجله، وحاولت فرضه على الواقع الجاهلي[١٨]؟ وهذا مستبعد، فهي جماعات بدأت أهدافها ذاتيّة، ثمّ تبلورت ونضجت في إطار جمعيّ عايش الظّروف نفسها ضمن مجتمع القبيلة الظّالم؛ فرفعوا راية العصيان والتّمرد على القيم الجائرة، فئة مسحوقة وفقيرة، رفضت الوضع الدّوني والهوان، فسعَت بسلاحها إلى تغيير الوضع، مدفوعة بحسّ الإباء والأنَفَة والحنق والغضب على المجتمع الطّبقيّ، الّذي يحتقرُ إنسانيّتهم، ويرفع غيرهم على حسابهم، "إنّ طول معاناة الإنسان المسحوق، ومدى القهر والتّسلّط الّذي يفرض عليه ينعكس في تجربته الوجوديّة للدّيمومة على شكل تضخّم آلام الماضي، وتأزّم في معالجة الحاضر، وانسداد آفاق المستقبل"[١٩]؛ وأحسب أنّ هذا يصفّ حال الصعلوك إلى حدّ قريب.

وهذه الفئة ليست فئة اجتماعيّة مستنيرة، وإنْ راعتها المظالم الاجتماعيّة، والتّجاوزات القبليّة كما عبّر عنها "بوجمعة بوبعيد"[٢٠].

فماذا أراد بكلمة مستنيرة؟ وما الّذي نوّر عقول هذه الفئة؟ وأحسب أنّ ثورتهم لم تمنهِجْ سبلهم أو تؤطّر مذاهبهم حتّى تنوّر عقولهم؛ ثمّ إنّ صعلكتهم ما هي إلا تلبية نداء داخليّ وحاجة نفسيّة تنزع نحو الحريّة وكسر القيود الظّالمة الّتي كبّلتهم وحجّمتهم ردهًا من الزّمن.

فالصّعلوك إنسانٌ ضاق ذرعًا بالحياة والتّقاليد القبليّة الّتي كبحت جماحه وحالت دون طموحاته، ولذلك جهدت الفروسيّة الفرديّة المتمثّلة فيه على أنْ تثور على الفروسيّة القبليّة[٢١]؛ فدفعته إلى الشّعور بضرورة الانفصام عن مجتمعه الكبير، وتعويض ذلك في دائرة المجتمع العدوانيّة نحو

المجتمع الجاهليّ لعجزهم عن تحقيق التّفوق بالوسائل المشروعة، وما الاتّجاه إلى العدوان وسفك الدّماء إلّا "بمثابة تعويضٍ زائدٍ عن الإحساس بالدّونية والنّقص"[٢٢].

طوائف الصّعاليك[٢٣]: طائفة الخُلعاء[٢٤] الشذّاذ: الّذين أنكرتهم قبائلهم وتبرّأت منهم وطردتهم من حماها، وتحلّلت من العقد الاجتماعيّ الّذي يربط بينها وبينهم مثل: "حاجز الأسديّ"[٢٤] و"قيس ابن الحُداديّة"[٢٥] و"أبي الطّمحان القينيّ"[٢٥]، لم يذكر صاحب الأغاني[٢٦] سبب الخلع، ويرجّح لسوء أخلاقهم[٢٧]. **وطائفة (الأغربة) السّود:** أبناء الإماء السّود، لم يعترف بهم آباؤهم العرب ولم ينسبوهم إليهم؛ لأنّ دماءهم ليست عربيّة خالصة، وإنّما خالطتها دماء أجنبيّة سوداء لا تصل في درجة نقائها إلى درجة الدّم العربيّ، مثل: "تأبّط شرًا[٢٨] و"الشّنفرى"[٢٩] و"السُّليك بن السُّلكة"[٣٠]. **وطائفة الفقراء:** الّذين تصعلكوا نتيجة الظّروف الاقتصاديّة القاسية، ويمثّلهم "عروة بن الورد"[٣١].

هؤلاء جميعًا فقدوا ظاهرة التّوافق الاجتماعيّ[٣٢]؛ إذ يعمل كلّ من الأفراد والمجتمع لصالح الآخر؛ فأدّى إلى ما يسمّى بالسّلوك الصّراعيّ بين الطّرفين، وإلى تشكيل نواة لثورة يقودها هؤلاء المضطهدون بزعامة "عروة بن الورد"، بعيدًا عن المعايير الاجتماعيّة والقبليّة السّائدة؛ رغبة في إشباع حاجاتهم النّفسيّة والاجتماعيّة؛ ليصبح من العسير استعادة التّكامل[٣٣] مع الجماعة الأكبر، وهي صورة من صور التّفكك الاجتماعيّ أو التّصدّع في بناء الجماعة بما يسمّى (اللاتكامل الاجتماعيّ)[٣٤] ؛ إذ تنشأ حالة **(التّفكّك = Dissociation)**[٣٥] "عن صراعٍ بين مطلب الحاجة أو الغريزة، ومطلب الواقع، ولا يمكن أن يأخذ الفرد بالمطلبين في آن معًا، وتبقى الاستجابتان المتباينتان للصّراع بوصفها النّقطة المركزيّة لانقسام (الأنا)"[٣٦].

وهذا يوضّح أصل السّلوك الانحرافيّ كما بيّنه "سيجموند فرويد": "وهو الاعتقاد بوجود صراع جوهريّ بين رغبات الفرد وميوله، وبين القيود أو الضّغوط التي تفرضها عليه عضويّته في جماعة اجتماعيّة، ولذلك يُعتبر الانحراف نتيجة لازمة عن فشل الضّوابط الاجتماعيّة في كبح جماح الدّوافع الطّبيعيّة"[٣٧].

سلم النّظام الطّبقيّ الاجتماعيّ[٣٨] ودوره في نشأة الصّعلكة

تتحدّد حريّة الفرد بتكوينه الجسميّ والنّفسيّ، ثمّ بعلاقته بالتّأثيرات المحيطة الاجتماعيّة كالبيئة والأفراد الّذين يعيشون معه، ومدى ارتباطه بهم، ثمّ تتحدّد بعد ذلك بالقيم والاتّجاهات والسّلوكات، وهي تختلف من فرد لآخر حسب تكوين الفرد ودوافعه النّفسيّة والاجتماعيّة وردود أفعاله الّتي تستثير نشاطه وتوجّه سلوكه لتحقيق هدف ما، ثمّ ترسم طرقه في معالجة الواقع.

ولعلّ النّظام الاجتماعيّ الجاهليّ الّذي فرض على الصّعاليك من أهمّ العوامل الّتي ساهمت في عدم قدرتهم على التّكيّف مع المجتمع الطّبقيّ؛ ودفعتهم للشّعور بالاغتراب[٣٩]؛ ففقدوا الانتماء لقبائلهم؛ وفضّلوا الانفصال، ليعيشوا الغربة بما تحمله من معاني الوحدة والعزلة والانكفاء على الذّات؛ فجعلهم يعيشون التّناقضات بين الواقع المظلم والطّموح، والقيد ومطالب البحث عن الحرية، وبين المجتمع القبليّ الرّافض لهم، والمجتمع الّذي يخرج عن الأعراف والتّقاليد.

ويشمل هذا النّظام الطّبقيّ[٤٠]: الصّرحاء: أبناء القبيلة ذوي الدّم النّقيّ، ينتمون إلى أبٍ واحد، ومنهم الطّبقة الغنيّة في القبيلة، وفيهم رئاستها وبيوت الشّرف. **وطبقة العبيد:** تتألّف من عنصرين: **عنصر عربيّ:** هم الأسرى الّذين كانوا يقعون في أيدي القبيلة في حروبها مع القبائل الأخرى. **وعنصر غير عربيّ:** وهم الرّقيق الّذين كانوا يُجلبون من البلاد المجاورة للجزيرة، عن طريق التّجارة أو الحروب. **والموالي:** وهم العتقاء، ومن العرب الأحرار الّذين لجؤوا إلى القبيلة من قبائل أخرى، وعاشوا في حمايتها، أو حماية رئيسها، أو بعض أصحاب النّفوذ فيها. وكانّوا من **أصلين: الأحرار:** وهم اللاجئون إلى القبيلة أو إلى أحد أفرادها من خلعاء القبائل طالبي الحماية، ويسمونهم (الخُلعاء)؛ إذ يخضع اللّاجئ (المخلوع) لشروط قد تكبّله، وتحدّ من حريته وتحرّكاته. **والعبيد:** هم مَنْ أعتقهم سادتهم، فظلّوا مرتبطين بهم برابطة الولاء، وهذه الطّبقة –الموالي– وسطًا بين العبد والحر[٤١].

فإذا تزوّج العربيّ من أمَتِهِ، فإنّ المجتمع الجاهليّ يرى هذا الزّواج غيرَ متكافئ، ويعلّق على ثمرته؛ وهو ابن العربيّ من الأمة "هجينًا"[٤٢]. وأسوأ الهجناء حظًّا، وأوضعهم منزلة اجتماعيّة أولاد الإماء السّود، فقد كان العرب يبغضون اللّون الأسود ويحبّون الأبيض، ولذلك أطلقوا على هؤلاء السّود اسمًا خاصًا تمييزًا لهم من سائر إخوانهم الهجناء "الأغربة"؛ تشبيهًا لهم بالطّائر المشؤوم في لونه الأسود[٤٣]. ولا تعترف به قبيلته إلّا لامتياز ما، مثل شجاعته الفائقة في دفاعه عن قبيلته كمثل "عنترة بن شدّاد العبسيّ". والقوة النّفسيّة جعلت أمثال هؤلاء يرفعون راية العصيان في وجه أسيادهم، يرفضون الحياة الذّليلة؛ ليشقّوا طريقهم نحو أخرى حرّة، فكان منهم"السُّليك بن السُّلكة"[٤٤]، وكذلك "تأبط شرًا"[٤٥ ٤٦].

ومن الطّبيعيّ أنْ يفقد هؤلاء إيمانهم بكلّ معاني القبيلة، ويكفروا بها وينقلبوا عليها انقلابا تامًا، ويوجّهوا غزواتهم إليها مثلما فعل "قيس بن الحُداديّة"[٤٧]، و"الشّنفرى الأزديّ" الّذي كان يُغير أحيانًا على قبيلته "أزد"، ولا يجد في ذلك غضاضة[٤٨]، والشّذوذ عند "السُّليك" إذ كان لا يُغير على "مُضَر" حسب، وإنّما يُغير على اليمن، فإذا لم يَكفِهِ ذلك أغار على "ربيعة"[٤٩]، وبالمقابل يستخدم مواهب الصّعلكة في سبيل قبيلته، إذ

إنّه رأى طلائع جيش لـ"بكر بن وائل" جاؤوا ليغيروا على "تميم"؛ فاستثمر سرعة عدْوه لينذر قومه حتّى لا يُؤخذوا على حين غرة[٥٠].

وقد يُفسَّر حالهم بما يشير علماء النّفس إليه في أنّ الحالات الّتي يعاقُ فيها إشباع الدّافع في الفرد إشباعًا مباشرًا وصريحًا وكاملًا وفوريًا تدخله في حالة **(إحباط =Frustration)**؛ إذ تنتج عنها مشاعر الضّيق والاستياء والحنق، فيلجأ إلى ما يعرف بحِيَل التّوافق كالكبت والإسقاط والإزاحة والتّوحّد؛ وليحلّ الصّراع الّذي يدور بين الدّافع الّذي يلحّ في طلب الإشباع والقوى الّتي تقف حائلًا دونه[٥١]، ولعلّ الصّعلوك في عجزه عن التّغيير، واستيائه من واقعه القبليّ استخدم حيلًا قد تتسم بالخديعة والالتواء لإرضاء رغباته الخاصّة والمتعارضة مع مبادئ مجتمعه ونظامها السّائر.

إنّ القوى الّتي قد تقف حائلًا دون إشباع حاجات الفرد هي[٥٢]: **أولًا:** الواقع الخارجيّ غير الملائم لإشباع الدّافع، **ثانيًا:** (الأنا الأعلى =Super Ego)[٥٣] أو الضّمير، **ثالثًا:** عجز (الأنا)[٥٤] ذاته عن المضي في تحقيق الرّغبات.

ويؤكّد تحليل "ميرتون"[٥٥]أنّ الضّغوط الكبيرة في اتجاه الانحراف يُمارَس نحو الطّبقات الدّنيا في سعيها للحصول على ما أسماه بالنّجاح المالي، ثمّ إنّ طبيعة البناء الاجتماعيّ هو الّذي يؤدّي إلى ضغط مكثّف نحو الانحراف، فاللّجوء إلى القنوات الشّرعيّة"**limate Channels**" من أجل الحصول على المال يُعَدّ أمرًا عسيرًا؛ لأنّه محدّد ببناء طبقيّ ليس مفتوحًا على كلّ المستويات انفتاحًا كاملًا[٥٦].ففقدان الصّعاليك التّوافق الاجتماعيّ مع قبائلهم؛ جعلهم يبحثون عن بناء اجتماعيّ جديد، أو بناء يتميّز بالتّعديل الجوهريّ، وهو يفترض مُسبقًا، وجوب ترك الأهداف والمستويات القائمة، والّتي يُنظر إليها حينئذٍ بعدّها تعسفيّة وغير متميّزة بالشّرعيّة، فهذه العمليّة تُناط بجماعات جديدة تحظى برؤًى جديدة أو معايير موضوعة، يُفترض أنْ لا تؤدّي إلى ظهور الإحباط، بل تمارِس ضغطًا نحو السّلوك الانحرافيّ وتدمير النّسق المعياريّ، وهذه الاستجابة وصفها "ميرتون" (بالتّمرد)، وهي شكلان: **التّمرد الجزئيّ:** عندما يكون مقتصرًا على مجموعة صغيرة ومحدودة وعديمة القوّة في المجتمع، فإنّه يوفّر حينئذٍ طاقة كاملة لتكوين جماعات فرعيّة مغتربة عن بقيّة المجتمع، ولكنّها تكون متوحّدة فيما بينها؛ ولذا نجد شخصيّة الصّعلوك تنتمي إلى جماعته الّتي تتشكّل من قبائل متعدّدة؛ فهُم فرسان غايتهم الغزو وتوزيع الغنائم والتّغني بالجانب الشّخصيّ، والانعتاق من العصبيّة القبليّة، والمبالغة في القتل والرّغبة الدّائمة في الغزو[٥٧].

وأمّا التّمرد الكامل، فحين يصبح التّمرد متأصّلًا في جزء جوهريّ من المجتمع، ويشكّل حينئذٍ طاقةً كامنة للثّورة الّتي تعيد تشكيل البناء الاجتماعيّ والمعياريّ[٥٨].

ولعلّنا نرى الصّعلكة ردّ فعلٍ مضادٍ لضغوطات مارسها المجتمع القبليّ الطّبقيّ على أفراده الضّعفاء، فهيّأ لظهور المتمرّدين والخُلعاء الّذين تشبّعوا بالنّظم المعياريّة الظّالمة، فانحرفوا بسلوكهم، ويُعرّف السّلوك المنحرف[٥٩]أنّه: "سلوك مضاد للمجتمع يستحقّ نوعًا من العقاب، أو أنّه سلوك يخرق القانون".

ويعزو علماء الاجتماع السّلوك الانحرافيّ بردّه إلى عوامل شخصيّة ومسبّبات أخرى داخل المجتمع نفسه الّذي يعيش فيه الفرد، أو إلى الطّبقة الاجتماعيّة الّتي ينتمي إليها، كما يفسّرون الجُناح بعدّه انتهاكًا للقيم والمعايير والقواعد المنظّمة للسّلوك، والأدوار والمراكز الّتي يشغلها أعضاء المجتمع، وفضلًا على ذلك العامل الفطريّ، فهو لون من ألوان العدوان الغريزيّ، والسّلوك العدوانيّ بصفة عامّة سلوك اجتماعيّ يخضع لضوابط البيئة خضوعه للعوامل الّتي تكمن داخل الفرد نفسه[٦٠].

فروسيّة الصّعلوك:

قد يضطرب مفهوم الفروسيّة حين يقترن بظاهرة الصّعلكة، بِعَدّ أولئك الصّعاليك من الفرسان، أو أنّهم مثّلوا الفروسيّة حين كانوا تحت لواء قبائلهم.

فالفروسيّة لها من الصّفات والخصائص ما يجعل صاحبها بطلا مغوارًا، وشجاعًا مقدامًا ومتمرّسًا بفنون القتال، كما تشمل صفات تجعل منه فارسًا في الحرب والسّلم[٦١]؛ لكن الأمر لدى الصّعلوك قد يختلف بعض الشّيء؛ لأنّ عالم الصّعلكة يقتضي نهجًا في القتال وأسلوبًا في الكرّ والفرّ[٦٢]، فهو يعتمد أسلوب السّلب والنّهب وسيلةً، والفرار مسلكًا للنّجاة حين يضطر لذلك، ولكنْ مع التّحفظ على ذلك، لا نستطيع أنْ ننفي صفة الفروسيّة عن هؤلاء؛ فمعظمهم كان قبل خروجه من دائرة القبيلة إلى دائرة الصّعلكة فارسًا في قومه، وأهل البدو عمومًا أقرب إلى الشّجاعة من أهل الحضر كما يشير ابن خلدون[٦٣]: "فهم دائمًا يحملون السّلاح ويتلقّتون عن كلّ جانبٍ في الطّرق، ويتجافون عن الهجوع إلا غرارًا في المجالس، وعلى الرّجال وفوق الأقتاب"، فالسّلاح بالنّسبة إليهم جزءًا من وجودهم؛ وذلك استجابة لحاجة الأمن والانعتاق من ظلم الآخرين.

فالفروسيّة عند هؤلاء في جاهليّتها لم تكن مؤسّسة دينيّة أو اجتماعيّة؛ لندخلهم فيها أو نخرجهم منها؛ وإنّما هي فضيلة خلقيّة، تعتزّ بالعبيد والصّعاليك كما تعتزّ بالأشراف وذوي اليسار، وليس لها من الشّرائع إلا ما قضى به العُرف والتّقليد، فكان للفروسيّة آدابٌ متوارثةٌ يرعاها البدويّ بطبيعته، ولا ترتبط فروسيّته بجماعة منظّمة، فهي موجودة لديه في صعلكته، وعندما كان ملتفًّا بعباءة عصبيّته القبليّة ومنفعتها المشتركة بينه وبين أبناء عمومته، فنرى بذلك أنّ التّجمّع الإنسانيّ للجماعة الواحدة ليس نمطًا ثابتًا أو واحدًا، إنّما يخضع لمتغيّرات،

ويكون استجابة لمواقف مختلفة، وتأثّرًا بذلك تختلف ردود أفعال الأفراد ضمن الإطار العام أو الكلّيّ لمجتمعهم.

ويمكن الإشارة للنّاحية النّفسيّة للصّعلوك في ارتباطه السّابق بقبيلته الأمّ ومشاركته الوجدانيّة والفعليّة عندما كان فردًا متناغمًا مع وتيرة إيقاعها المفروض، ومسايرًا لجماعته، وقد أشار "مكدوجل" إلى[٦٤]" أنّ المشاركة الوجدانيّة تلعب دورًا أهم ممّا تلعبه النّزاعات الاجتماعيّة الأخرى في إحداث التّماسك بين أفراد الجماعة، ويلاحظ أنّ الجماعات تميل إلى التّجانس من حيث الجو الوجدانيّ الّذي يشيع فيها"، وإذا فقد هذا التّجانس، فقد نكون أمام خيارين: إمّا أن يغادر الفرد المخالف نظام مجموعته ويرفضه، أو تُبعد الجماعة ذاتها الفرد وتطرده.

وأكثر ما يسترعي الانتباه في أخبار الصّعاليك اعتدادهم بأنفسهم وفخرهم بسرعة العَدْو عند الخطر، حتّى ضُرِبَ بهم المثل في ذلك، فهم وإنْ عدّوه من الصّفات الّتي قد ينفردون بها أو يتميّزون، يرى البعض[٦٥]أنّ سرعتهم في العدو من باب الجبن الّذي وإنّ كان من عناصر الكرّ، وفنًا من فنون الحرب في الجاهليّة، إلا أنّه يشير قبل ذلك إلى الخوف، وهو منجا لقاطع الطّريق عند هربه، وأمّا الفخر بالصّبر على الجوع؛ فما هو إلا تبريرٌ لأعمالهم اللّصوصيّة يصبّونه في قالبهم الشّعريّ.

ولكنّ الفروسيّة تبقى مكرمة لديهم ومفخرة، يدافعون عن أنفسهم ولا يكلون المهمّة إلى سواهم؛ فكانت الغارة وسيلة رزق؛ لانتشار الفقر الّذي لم يسلم منه إلا السّادة.

الصّعلوك من الوجهة النّفسيّة:

يكاد لا يتّسع مجتمع الجاهليّ إلى أبعد من القبيلة، دائمو التّرحل لا يستقرّون في موضع، يبيّن ابن خلدون أنّه[٦٧]:"ليس لهم وطن يرتافون منه، ولا بلد يجنحون إليه؛ فنسبة الأقطار والمواطن إليهم على السّواء؛ فلهذا لا يقتصرون على ملَكة قطرهم وما جاورهم من البلاد، ولا يقفون عند حدود أفقهم، بل يَطْفِرون إلى الأقاليم البعيدة ويتغلّبون على الأمم النّائية". والجاهليّ لا يعترف بالقوانين والشّرائع إلّا ما قضى به توافق مع حاجاته الخاصّة عُرفًا وعادة، متمرّدًا كصحرائه، قد يكون أنانيًّا يستأثر بالخير والفضائل دون غيره؛ لتأصّل الفرديّة في نفسه، يعيش من السّلب والنّهب ورعاية الإبل، ويصف ابن خلدون الأعراب[٦٨]: "أنّهم بطبيعة التّوحش الّذي فيهم أهل انتهاب وعيث، ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر، ويفرّون إلى منتجعهم بالقفر، ولا يذهبون إلى المزاحفة والمحاربة إلّا إذا دفعوا بذلك عن أنفسهم؛ فكلّ معقل أو مستصعب عليهم فهم تاركوه إلى ما يسهل عنه، ولا يعرضون له، والقبائل الممتنعة عليهم بأوعار الجبال بمنجاة من عيثهم وفسادهم، لأنّهم لا يتسَنّمون[٦٩]إليهم الهضاب، ولا يركبون الصّعاب ولا يحاولون الخطر". وهذه وسيلة الإنسان البدائيّ، فهو ينفر من التّجارة والصّناعة؛ واجدًا فيهما دناءة ومذلة.

أنشأته الطّبيعة شديد الجسم، جافي الطّبع، حرًّا لا يعرف التّكلّف والتّملق، مستغرقًا في المادّة، متمرّدًا على كلّ نظام، والصّعلوك بعدّه فردًا في هذا المجتمع الجاهليّ طبيعته كذلك، فإذا استثنينا بعض الشّيء "عروة"؛ وما في طبيعته من ميل نحو الألفة والتّعاون ونصرة الضّعيف – كما رُوِي لنا – نقع بعده على طائفة من لصوص العرب وشُذّاذها، الّذين ارتبطوا ببيئتهم الصّحراويّة، وجعلوا الفقر وقلّة خير الأرض سببًا لعداء بين القبائل وغارات متبادلة دون انقطاع، سواء أكانت منظّمة تقوم بها القبيلة أم سلوك الصّعاليك الفرديّ في الفيافي الشّاسعة، وقطعهم طريق القوافل والمراعي معتدّين بشجاعتهم وإقدامهم.

ومع كلّ هذا فهذه النّفس لا ترضى بالعبوديّة لما فيها من الشّمم والإباء والجرأة، فهي تتألّم إذا لقيت شيئًا من الاحتقار والازدراء بسبب كونها من طبقة العبيد، فتحاول جاهدة أنْ تظهر نجابةً لتتحرّر إمّا بالشّجاعة أو الشِّعر، وكلاهما كفيل أنْ يجعل لصاحبه مكانةً اجتماعيّة[٧٠]عاليةً في القبيلة، كما نافح "عنترة" حتّى خَلع ظلم العبوديّة بحدّ سيفه وشِعره، وأرغم قومه على الاعتراف بفضله فياقف الأخطار، فيقول[٧١]:

ولقد أشفى نفسي وأبرأ سُقمها

قيلُ الفوارسِ ويك عنتر أقدمِ

ولكنّهم ينكرونه في السّلم فيقول[٧٢]:

ينادونني في السّلم يا ابن زبيبة

وعند اصطدام الخيل يا ابن الأطايب

ويدلّ هذا على أنَّ اللّون الأسود من أهم المشكلات الّتي واجهت العبيد في المجتمع الجاهليّ[٧٣]، إذ خيّم السّواد بظلاله المقيتة في العقول البدويّة وتجسّدت التّفرقة والعنصريّة في نفوسهم.

ومع تفاوت النَّسَب ودرجات الشّرف والسّيادة، كان الصّعاليك لا يمتثلون لنظام الطّبقات في قبائلهم[٧٤]؛ فلا ينصاع العبد للمولى والمرؤوس للرّئيس، إلا في حدود، وإنْ كان سيّد القبيلة خادمها الأكبر، يتحمّلون إليه بديّاتهم وجرائمهم؛ فيبذل عن يدٍ مالَه ويحلّ مشاكلهم، وفي الحرب في مقدّمتهم، فإذا رضي الصّعلوك لغيره بالرّئاسة فلا يرضى أنْ يفقد معها حريّته وكرامته.

فسَوط الاحتقار في مجتمعهم وشعورهم أنّهم منبوذون من إخوانهم في الإنسانيّة؛ جعلهم يرفضون هذه الحياة الذّليلة والتّهميش في المجتمع؛ ليشقّوا طريقهم ولو بالقوة نحو حياة يصنعونها بأيديهم، وينتزعون لقمتهم ممّن حرمهم منها دون أنْ يبالوا بشيءٍ، فالغلَبَة والنُّصرة للقوّة، ومهما كان الثّمن أو الطّريقة.

فإنْ كانت الحياة قست عليهم فلم يستكينوا لها ويذلّوا؛ فهذه القوة النّفسيّة كانت تدفعهم إلى الأنفة عن القيام بما يأنف عنه السّادة، ومع

ما يلاقونه فهم يتستّرون وراء كرمهم، (كلّ صعلوك جواد)[٧٥] والمثل الأعلى للجود "عروة بن الورد"، وحاتم الطّائيّ[٧٦]، ومن شعر الأخير[٧٧]:

ولن يكسب الصّعلوك حمدًا ولا غنًى
إذا هو لم يركب من الأمر معظمًا
لحى الله صعلوكًا مناه وهمّه
من العيش أن يلقى لبوسًا ومطعمًا

ويقول "تأبط شرًا"[٧٨] في قافيّته[٧٩]:

يا منْ لعذّاله خذّالة أشبِ
حرّقَ باللّوم جلدي أيّ تحراقِ
يقول أهلكت مالًا لو قَنِعْتَ به
مِنْ ثوبِ صدقٍ ومِنْ بزٍّ وأعلاق
عاذلتي إنّ بعض اللّوم معنفةٌ
وهل متاعٌ وإنْ أبقيتَهُ باقِ

فإنْ كان للطّبيعة دور في صفات الصّعلوك المعنويّة كما قدّمنا، فقدْ هيّأته للحِمْل الّذي سيُلقى على عاتقه من قوّة ومضاء العزيمة والصّلابة والخفّة وسُرعة العَدو، فكان يُضرب المثل به، فيقال: (أعدى من الشّنفرى)[٨٠]، وقالوا: (أعدى من السُّليك[٨١])[٨٢]، وهذا "تأبط شرًا" مفتخرًا بسرعته الّتي أنجته من أعدائه، فيقول[٨٣]:

ليلة صاحوا وأغرَوا بي سراعهم
بالعكيكتين لدى معدي بن براق
كأنّما حثحثوا حُصًّا قوادمه
أو أُمَّ خِشْفٍ بذي شتٍّ وطُبَّاق
لا شيءَ أسرعُ مني ليس ذا عُذرٍ
وذا جناحٍ بجنبِ الرَّيد خفّاقِ
حتى نجوت ولمّا ينزعوا سلبي
بوالهٍ مِنْ قَبيْضِ الشرّ غيْداقِ

وإنْ كان الصّعاليك يجيدون العَدْو السّريع إلّا أنّ أخبارهم لا تخلو من المبالغات[٨٤]؛ وقد تفسّر سرعتهم بسبب طبيعة المنطقة الجغرافيّة الّتي تعدّ مسرح علميّاتهم وبخاصّة الجبليّة منها؛ ما جعلهم يعتمدون أقدامهم في تحركاتهم، فهم جماعات آمنت أنّ الحقّ للقوّة وأنّ الضّعيف لا حقّ له، فإمّا حياة كريمة – وأظنّهم يحسبونها في المال – أو ميتة كريمة بعزٍّ وإباء.

وإنْ كنّا نتحدّث عن الدّوافع النّفسيّة الّتي دفعتهم للصّعلكة؛ فلا بدّ من الإشارة إلى أنّ بعضهم مع غاراتهم، وما يغنمون من الأموال عند التّعرض للقوافل؛ لا يشعرون بسعادة الحصول على الغنيمة؛ وقد يفسّر هذا الشّعور: إمّا أنّهم غير مقتنعين بوسيلتهم للحصول على مآربهم– في أنفسهم على أقل تقدير– أو أنّهم يشعرون بعدم مشروعيّة أفعالهم، وأنّهم مدفوعون دون اقتناع، أو ينتابهم شعور الحسرة والنّدم كالغصّة الّتي في الحلق؛ لأنّهم طريدون ومشرّدون ومخلوعون من حماية قبائلهم، وهذا الشّعور الّذي عبّر عنه "قيس بن الحداديّة"[٨٥]، في إنشاده شعرًا وهو يقاتل متحسّرًا على حياته الّتي ذهبت أدراجَ الرّياح بعد أيام شبابه الجميلة الّتي قضاها في حمى القبيلة؛ لعلّه أدرك في نفسه أنّ انسلاخه من جلدته هو موته البطيء. ومثال ذلك أيضًا الصّعلوك "البوهيميّ" القلق، مفرط الحساسيّة، قوي العاطفة، سيئ الحظّ "أبو الطّمحان القينيّ"، فهو من الخُلعاء[٨٦]الشُّذاذ، ومن شعره[٨٧]في الفخر:

وإنّي من القوم الّذين هُمُ هُمُ
إذا مات منهم سيّدٌ قام صاحبُه
نجوم سماء كلّما غارَ كوكبٌ
بدا كوكبٌ تأوي إليه كواكبه
أضاءتْ لهم أحسابُهم ووجوهُهم
دُجى اللّيل حتّى نظّم الجِزْع ثاقبه

ويقول صاحب الأغاني[٨٨]إنّه من المخضرمين؛ إذ أدرك الجاهليّة والإسلام وكان خبيث الدّين فيهما، إذ عُرِف بكثرة ذنوبه وكبائره. وسُئل يومًا عن أدنى ذنوبه، فاندفع يقصّ باستهتار قصّة ليلة ارتكب فيها أربع موبقات[٨٩]، وكان سيئ الحظّ فيمن استجار بهم، وينشد أبياتًا يحنّ فيها إلى وطنه وأهله وأيامه بينهم ويندب سوء حظّه، حتّى تداركه سيّدٌ نبيل من فزارة يقال له "مالك بن سعد" في أخريات أيامه، وقد قُضي عليه أنْ يموت بعيدًا عن أهله، وطالما استبدّ به الحنين إليهم. ومن ذلك قوله[٩٠]:

ألا حنّت المِرقالُ وائتبَّ ربُّها
تذكّرُ أوطانًا وأذكرُ مَعْشَري[٩١]

وأحسب أنَّ فطرته الّتي سئمت التّشرد وعدم الاستقرار والوحدة والغربة؛ هي ما دفعه إلى أنْ يلهج بشعره حنينًا وشوقًا لأهله وقبيلته، وعصفت بقلبه رياح ذكريات الماضي الّتي قضاها في الوطن.

البعد الاجتماعيّ في حياة الصّعلوك:

القبيلة كانت الوحدة الاجتماعيّة الّتي عرفها المجتمع الجاهليّ في باديته ومدنه، فأفراد القبيلة الواحدة يؤلّفون أسرة قائمة بذاتها لا اختلاف فيها، متجانسة لا تباين بين أفرادها، متآلفة لا شذوذ بين أبنائها. وإيمانهم "بالأسريّة" نشأ عنه إحساس بعضهم– ومنهم الصّعاليك – بضرورة أنْ تظل الوحدة قائمة، يخرجون منها ما يرونه شوائب فكان ذلك أوّل المفاتيح الاجتماعيّة لظاهرة الصّعلكة[٩٢].

كانَ دستورهم "العصبيّة القبليّة" فأفراد القبيلة متضامنون، هذا العقد الاجتماعيّ القائم على أساس عاطفيّ يجعل ابن القبيلة ينتصر لأخيه ظالمًا أو مظلومًا، ومصداق ذلك قول الشّاعر "دريد بن الصّمة"[٩٣]:

وما أنا إلاّ من غزيّة إنْ غوت
غويتُ وإنْ ترشُدْ غزيّةٌ أرشدُ

وهذا العقد يُلزم سيّد العشيرة تحمّل تبعات جناية فرد فيها[٩٤]، وبالمقابل على الفرد أنْ يحترم جماعته فلا يسيئ إليها؛ فإنْ أخطأ في حقها طُرد

ويسمى ذلك "خُلعًا"، ومن الأسباب الّتي تستوجب ذلك خروج الفرد على وحدة القبيلة، بتصرّف لا ترضى به ودون الرّجوع إليها، فتعدّه شاذًا، خرج على إجماعها، ورفض السّير في ركابها، فتتبرّأ منه وتطرده من حماها، وتعلن أنّها خلعته رسميًّا بإعلان يذاع بين النّاس في المواسم والأسواق، وبهذا تسقط حقوق الفرد على قبيلته، فهنا نجد الخليع نفسه أمام مشكلة، فقد رَفعت القبيلةُ حمايتها عنه وطردته؛ فإمّا الصّحراء مأواه، يلاقي مصيره فقيرًا ووحيدًا، أو يلجأ إلى من يحميه ويعيش في جواره حسب "قانون الجوار"[٩٥]، فتولّدت عندهم عصبيّة تقوم على التّنكر للقبيلة ردّ فعل، وحاولوا التّجمع تحت ظلال ظروف اجتماعيّة معيّنة؛ أوجدت بينهم ألوانًا من الصّلات ووشائج التّناصر إذا جدّ الجد، وسنحت فرصة للإغارة للسّلب، متحلّلين من شخصيّاتهم القبليّة، معتزّين بشخصيّاتهم الفرديّة داخل مجتمع الصّعلكة، بما تحمله من الفتوة والشّجاعة والتّماسك عند الشّدة[٩٦].

الصّعلوك بين الذّات وقهر المجتمع:

ونحن نقرأ العصر الجاهليّ، نجد أنّ القبائل البدويّة خضعت لقانون الطّبيعة، فسعى أبناؤها في نشد القوّة والإقدام والشّجاعة؛ لأنّ الحياة من حولهم تقوم على الغزو والغارة والعداء، فالقبائل تدور في فَلَك الحروب الطّاحنة الّتي قد تستعر بسبب التّنافس على الرّئاسة، أو على نبع ماء أو طلبًا للثّأر أو مفاخرة، فاتّخذت من الغزو ديدنًا ومن الغارة مَعاشًا، ولو كان على أقربائها وذوي أرحامها[٩٧]، فالظّروف الطّبيعيّة كانت تحكم نظام حياتهم، وهي توجّههم إلى أخلاق وعادات معيّنة تلوّن أفكارهم وطباعهم؛ فإنْ جاع غزا ونهب، وطبيعة الصّحراء جعلت من أبنائها محاربين أشدّاء وشجعان أقوياء؛ فقسوة الحياة وظروفها القاهرة أثّرت في حياتهم؛ فجعلتهم يتناحرون ويختصمون في سبيل الحفاظ على تلك الموارد الأساسيّة لحياتهم، فأصبحت القوّة شرطًا من شروط الحياة عندهم.

ويقول ابن خلدون في الأعراب[٩٨]: "وأمّا من كان معاشهم في الإبل فهم أكثر ظعنًا وأبعد في القفر مجالًا؛ لأنّ مسارح التّلول ونباتها وشجرها لا يستغني بها الإبل في قوام حياتها عن مراعي الشّجر بالقفر، وورود مياهه الملحة ... وربما ذادتهم الحامية عن التّلول أيضًا، فأوغلوا في القفار نفرة عن الضّعة منهم؛ فكانوا لذلك أشد النّاس توحشًا، وينزلون من أهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه، والمفترس من الحيوان العجم، وهؤلاء هم العرب".

ويمكن القول إنّ الصّعاليك لا يمثّلون ظاهرة اجتماعيّة شاذة إلّا في خروجهم على النّظام القبليّ؛ فما يقومون به من السّلب والنّهب هو ما تقوم به القبيلة ذاتها، ولكن الفرق أنّ عمل القبيلة عمل جماعيّ منظّم، بينما عمل الصّعاليك عمل مجموعة من الأفراد، ولا يعتمد نظامًا معيّنًا، وإنْ كانت القبيلة هي الّتي خلقت في نفوس أبنائها الصّعاليك هذه الظّاهرة – من حيثُ لا تدري – لأنّها ترتبط بالصّراع من أجل البقاء[٩٩]. وفَقْد الشّعورِ بالانتماء القبليّ لديهم، وتنكّرِهم للقبيلة بعد تنكّرها لفارسها أو خلعه عزّز هذا الاتجاه.

فانتشر بين القبائل – كعبس وغيرها – فئات من المظلومين والمضطهدين، وشاعت بين أبنائها روح التّعصّب؛ لتبقى مميّزة بين سائر جاراتها، وقد مكّنها من ذلك عدد من أبنائها المخلصين، فالحروب والغارات تدّر عليهم الغنائم والمكاسب[١٠٠]، وهي مصدر الثّروة في حياتهم الاقتصاديّة، وهذا الأمر أوجد تباينًا واضحًا بين أبنائها من قِبَل موارد الرّزق ومصادر الثّروة، فكان الغنى الفاحش محصورًا في السّادات وطبقة الأثرياء، وهم قلة، والفقر مدقع، وهو الدّائرة الأوسع، تمثّله طبقة الفقراء والمساكين والضّعفاء، وهم الكثرة الغالبة، وهؤلاء كان "عروة بن الورد" العبسيّ شديد الكلف بهم، ويقول (عروة الصّعاليك)[١٠١]:

لحا الله صُعلوكا إذا جنّ ليلُه

مُصَافى المُشَاش آلفًا كلّ مَجزر[١٠٢]

ينام ثقيلًا ثمّ يصبحُ قاعدًا

يحُتّ الحصى عن جنبه المتعَفّر

فالجوع والفقر من السّياط النّفسيّة والاجتماعيّة الّتي تربّي عقدًا نفسيّةً تدفع صاحبها إلى العمل حتّى يصير غنيًا، عدا قسوة الطّبيعة في بيئة الحجاز الّتي دفعت الكثيرين إلى التّصعلك.

ويبيّن عالم النّفس "آدلر" أنّ (التّعويض الزّائد = Over compensation) النّاتج عن عقدة النّقص يجعل الفرد على الدّوام ينشد الكمال والتّفوّق، وكلّما استحكم هذا الإحساس فيه؛ كان رد الفعل هو التّطرّف في التّعويض والبحث عن وسائل السّيطرة على الآخرين، وسبل تحقيق القوّة[١٠٣].

وقد يفسّر هذا اتّخاذ الصّعاليك الغارات على القبائل أو القوافل التّجاريّة أو طبقة الأغنياء البخلاء وسيلةً لكسب المال، وللبذل والعطاء واكتساب المحامد أيضًا.

البعد الاقتصاديّ للصّعلكة:

سبقت الإشارة في النّاحية الاجتماعيّة لوجود طبقة الأغنياء الّتي لها أثر بالغ في استثارة الصّعلوك لأخذ حقّه منهم كما كان يرى، وقد سيطر التّجار والسّادة على الحركة التّجاريّة، وأثّروا في توسيع الهوة بين الطّبقات؛ فسمحوا لأنفسهم بالتّلاعب بالأسواق والمضاربة بالدّراهم والدّنانير تبعًا لمصالحهم الشّخصيّة، فكانت طبقة الصّعاليك تحت رحمتهم نتيجة الاختلاف في التّوزان الاقتصاديّ؛ إذ يضطر بعضهم إلى الاستدانة، فيُستغلون بفرض فائدة فاحشة عليهم؛ فزاد عدد المرابين في مكّة والمدينة، وهذا ما أشار إليه القرآن حين نبذ الرّبا والمُرابين في آيات كثيرة، كما في قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[١٠٤].

وبزيادة الدّيون على أولئك بما يضاف إليها من الرّبا الفاحش مع عجز أصحابه على السّداد، دفع أكثرهم إلى الهرب إلى الصّحراء، والالتحاق بطبقة المشرّدين أو قُطّاع الطّرق: فكثُرَ عدد الخُلعاء وكانوا يجتمعون في مكّة، فإنْ احتاج إليهم ثائر لغزوة من الغزوات قدم إليهم، ثمّ خرج بهم جنودًا مرتزقة، وأحيانًا كانت القوافل التّجاريّة تستخدمهم للحماية، يذودون عنها وسُمّوا (الخفراء)[١٠٥]. ومنهم من يدفعون ذؤبان العرب وصعاليكهم وأصحاب الغارات؛ لما يعرفونه عن الطّرق ومفاوزها ومساحاتها المترامية.

وكانت العناصر المتمرّدة والصّعاليك يجدون في هذه القوافل الضّخمة المحمّلة بالأموال والكنوز صورة من صور اختلال التّوازن الاقتصاديّ، وصيدًا ثمينًا وشاهدًا على سوء توزيع الثّروة؛ فأعطوا لأنفسهم الصّلاحيّة في الغزو والسّلب والنّهب والقتل؛ وعدّوه رزقًا ساقه الله إليهم، وحقًّا لهم المشروعيّة في اغتصابه، فتربّصوا لهذه القوافل وقطعوا عليها الطّرق؛ فهذا عروة يفخر بالصّعلوك حين يلقى أعداءه بشجاعة وثبات[١٠٦]قوله:

ولكنّ صُعلوكًا صفيحةُ وجهه

كضوءِ سراج القابس المُتنوّر

مُطلّا على أعدائه يزجرونه

بساحتهم زجرَ المَنيح المُشَهّر

وإنْ بَعُدوا لا يأمنونَ اقترابه

تشوّفَ أهل الغائب المُنتظَّر

فذلك إنْ يلقَ المنيّة يلقَها

حميدًا، وإن يستغنِ يومًا فأجْدَر

ولا بدَّ من الإشارة إلى مادّة الصّراع والرّصيد الّذي عند البدوي من الإبل، وهو ثروته ورأس ماله، ومصدر للمباهاة والفخر، فكان إذا بلغ عدد إبل أحدهم ألف بعيرٍ فقأ عين فحله ليرد عن إبله عين الحسّاد. وبالمقابل الطّبقة الفقيرة من البدو تضطر إلى قتل أولادهم خشية إملاق، كما قوله تعالى ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ﴾[١٠٧]، أو تبيعهم ليستعينوا بأثمانها على أعباء الحياة؛ فكلّ ذلك يشير إلى نفسيّة الفقراء وإحساسهم بالفجوة الاقتصاديّة بينهم وبين الأغنياء، فلم يكن أمام هؤلاء إلّا العمل بالرّعي وخدمة الإبل أو يعينون نساء الحيّ الحرائر، فإنْ رفضت نفوسهم القيام بهذه الأعمال اتّجهوا للغزو والإغارة للسّلب والنّهب بأسنّة الرّماح[١٠٨].

وثمّة ضرورة للتّفريق بين حركات قبليّة تتمثل في الصّراع بين الفقر والغنى تجري برضى القبيلة وأخرى فرديّة متمرّدة ترفضها القبيلة، تتربّص لقطاع الإبل وتنهب ما تقدر عليه ثمّ تقتل أصحابها ورعاتها، لا يتورّعون عن فعل أي شيء في سبيل مغنمهم؛ بل يتباهون بما يفعلون.

البُعد الجغرافيّ للصّعلكة:

يقول المسعودي[١٠٩]: "وأمّا الحجاز فحاجز بين الشّام واليمن والتّهائم، هواؤه حرور، وليله بهور، وليله بهفور، ينحف الأجسام، ويُجفّف الأدمغة، ويشجع القلوب، ويبسط الهمّ، ويبعث على الإحن وهو بلد مَحْل قَحْط جَدب ضَنْك".

هذه طبيعة أرض الحجاز، والفرد جزء من أرضه، قد يشبهها بتأثّره بجوّها ومناخها وحتّى تقاسيم تضاريسها، فالفرد يرتبط بالمكان غالبًا، لما يختزنه في الذّاكرة من أحداث مرّت به في مراحل حياته المختلفة، ولكنّه قد يضطر لمغادرة مرتع الطّفولة بحثًا عن حمًى آخر يلوذ إليه، كحال الصّعلوك في هذا، الّذي حاول الارتباط بموطنه الجديد، وإن وصفه في شعره إلا أنّه كان يذكر بعض مظاهر بيئته الأولى بصحرائها، وجبالها وأوديتها وأماكن خصبها إلخ، هذه النّفسيّة المضطربة تشبه هذا التّضاد الجغرافيّ الّذي ظهر في الأعراب على المستوى النّفسيّ إذ " إنّهم جماع الأضّداد، فالنّهب والكرم والسّلب والجود والقسوة والنّبل، وغير ذلك من الصّفات الّتي تدعو إلى المقت والإعجاب في وقتٍ واحدٍ ممّا نراه من الأعراب"[١١٠]، ولعلّ نشوء الصّعلوك في هذه الرّحاب وسمه بهذه الصّفات بلْه قوّة الصّبر واحتمال شظف العيش والتّعالي والتّمرد[١١١]، وكان له أثرٌ في الإحساس بالفقر بشكلٍ قويٍّ حين أوجد في جوار المناطق المجدبة مناطق خصبة، وشعور أبناء المناطق المُجدبة[١١٢]بأنَّ الحياة لمْ تحرم النّاس جميعًا ممّا حرمتهم، وإنّما أغدقت على طائفة من النّاس ماءً لا ينضب وثروة لا تهدّدها الطّبيعة، فشكّلت عندهم "عقدة الفقر"، فالبيئة الجغرافيّة خلقت من أبنائها أبطالاً أقوياء بعد أنْ ضيّقت عليهم الموارد، فسلكوا طريق "الغزو والإغارة للسّلب والنّهب. ونشاط الصّعاليك تركّز في مناطق الخصب في الجزيرة العربيّة مثل اليمن ونَجْد[١١٣]، بعض مناطق السّراة، يثرب والوديان المحيطة بها، وفي ذلك يقول "عروة بن الورد":[١١٤]

فيومًا على نجدٍ وغارات أهلها ويومًا بأرضٍ ذات شتٍّ وعرعر[١١٥]

فـ"عُروة" وإنْ أكثر الحديث عن يثرب، وما يجاورها من البلاد إلّا أنّه لمْ تقتصر غاراته عليها، ولا سيّما أنّه يصرّح في شعره بأنّه لا يجد بأسًا في توجيه غاراته صوب أيّ فجٍ من الفجاج وإلى أيّ فلاة، مادام يأمل أنْ يجد فيها بغيته، ولعلّنا لا نجد في شعره أو أخباره ما يشير إلى اتّخاذه من أحد أحياء قبيلته هدفًا لغاراته، كما هو معروف في أخبار كثير من الصّعاليك في القبائل الأخرى الّذين اتّخذوا من قبائلهم هدفًا لغزواتهم، على نحو ما ورد في أخبار "حاجز الأسدي"[١١٦]و"الشّنفرى الأزديّ"[١١٧]، ممّا يدلّ على أنّ "عروة" لم يكن خارجًا على العقد الاجتماعيّ مع قبيلته إلّا في حدود ضيّقة، وقد يُقال أنّه ربمّا وجد في "عبس" من الشّجاعة والحزْم ما منعه من التّوجه إليها بغزواته[١١٨]. ومن شعر السّليك ابن السّلكة[١١٩]في نزوله مأرب:

أمعتنقي ريب المنون ولم أرُعْ

عصافير وادٍ بين جأشٍ[١٢٠] ومأربِ

وأذعر كلابًا يقودُ كلابه

ومَرْجَةً لمّا ألتمسّها بمِقْنبِ

الخاتمة:

ومع ما تقدّم من الأسباب والدّوافع النّفسيّة والاجتماعيّة، والاقتصاديّة والجغرافيّة الّتي حفزّت الصّعاليك على انتهاج الإغارة والسّلب، وسفك الدّماء طريقًا نحو تحقيق الذّات؛ فذلك قد لا يعطيهم صبغة المشروعيّة؛ فالغاية لا تسوّغ الوسيلة، فإن كانوا قد رفضوا الواقع الجمعيّ القبليّ الظّالم ونبذوا الصّراع الطّبقيّ، واحتكار الثّروات، وعملوا على إعادة توزيعها بعدالة من منظورهم الخاصّ، فليست سبلهم من القتل والنّهب والسّرقة والتّرويع إلّا شكلًا من أشكال الانحراف والخروج عن النّسق وصورة من صور ترويع الآخرين وإرهابهم.

والواقع أنَّ الصّعاليك أثاروا في المجتمع الجاهليّ موجة عاتية من الرّهبة[١٢١]، والفزع والرّعب، كما تحدّثت أخبارهم وأحاديث المجتمع عنهم، فأرهبوا أصحاب الإبل على مراعيهم وحظائرهم وأرهبوا التّجار في طرقهم ومساربهم، وأرهبوا المارة في سبلهم ومعابرهم. وقد أتّهم بالمغالاة ومحاولة إقحام المفهوم في مجتمع قبليّ بدائيّ، ولهؤلاء يُقال: هبْ أنّ هذه المجموعات المتصعلكة قامت بهذه الأعمال من التّخريب والقتل في مجتمع اليوم، وهناك من يقوم مقامهم، فهل تبحث عن المسببات وتحاول أنْ تعطي المسوّغات لهؤلاء؟ أم أنّكَ ستتعنت الفعل بمختلف النّعوت أو التّسميات الرّافضة، فإنْ فعلت فالجوهر واحد.

وما تسميّة هذه الظّاهرة بالصّعلكة إلّا لارتباطها بالفقراء والمعدمين والخارجين على نظام القبيلة في عصر شريعته القوة، فنظراؤهم موجودون في مجتمعنا اليوم بمسميات تتناسب مع تقنيات العصر ومستجداته، فأنّى كانت أهدافهم، وإنْ عدّها البعض وسيلة نبيلة وسامية، يُقال: من وضع هؤلاء ليعيدوا توزيع الثّروات؟ وحتّى لو كانت الحاجة! ثمّ أبالدّم والتّخويف يسعون للتّوزان بين الطّبقات، نزوعًا نحو العدالة الاجتماعيّة وتعويضًا للحرمان؟ ثمّ محاولة تجميل جرائمهم وفظائع أعمالهم بالكرم الّذي عدّوه مدرجًا من مدارج السُّمعة والمنزلة، وأسلوبًا للتّغطية، وهل يَكرُم الرّجل الحُرّ من جيب غيره؟

ثمّ لو كان عملهم محمودًا لانتهجه "عنترة بن شداد العبسيّ" وغيره ممّن ذاقوا الظّلم واكتووا بناره، ثمّ إنّ الرّسول في بداية دعوته بيّن أنّ الإسلام سيحقّق الأمن للنّاس في طرقهم ومسالكهم، وكان أخطر ما يهدّدها الصّعاليك، وذلك في قوله عليه السّلام[١٢٤]: "كان الرّجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، فيُجعل فيه، فيُجاء بالمنشار فيوضعُ على رأسه فيُشقُّ باثنتين، وما يصُدّهُ ذلك عن دينه، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عَصَب، وما يصدُّه ذلك عن دينه، والله لَيُتِمَّنَّ هذا الأمر، حتّى يسير الرّاكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلاّ الله والذّئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون"؛ ولو حُمِدت أفعالهم لما تبرّأت منهم قبائلهم وخلعتهم من لحمتها.

فلو قيل ماذا يفعل الذّليل والفقير، أيستكين ويستسلم؟ نقول نحن مع حركات التّحرر ولكن بالطّرق المشروعة، الّتي لا تكون على حساب الآخرين وحرياتهم، ودون الخروج عن الأطر العامّة والدّساتير الجمعيّة، أو اختراق حرمة العادات والتّقاليد أو الشّرائع، وإلا عُدَّ هذا السّلوك انحرافًا وعدوانًا غير مشروع؛ فهو مرفوض في كلّ زمان ومكان، ومهمّا كانت الضّغوطات، وفيه تَعدٍّ على القيم الجمعيّة والمعايير المتّفق عليها، وإنّ قيم أيّ مجتمع – قديم أو حديث –ترفض احتراف فرد أو مجموعة من الأفراد السّلب والنّهب وقطع الطّرق؛ لما يثيره من بلبلة في المجتمع وفوضى وعدم شعور أفراده بالأمن، وما تمدّح أصحاب هذا الاتجاه بنجدة الملهوف وإكرام الضّيف وحماية الجار إلّا محاولة للتّستّر خلف ما يفعلونه في إيذاء النّاس، كما أنّ شعور أولئك الصّعاليك بالدّونيّة يدفعهم لتغطية نقصهم بالتّعاظم، فيصاب الصّعلوك بعقدة العظمة، فيحاول أنْ يتخلّص من عقدة بأخرى يصعب حلّها.

المصادر والمراجع:

١-القرآن الكريم

٢-الأصبهانيّ، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشيّ ت(٣٥٦هـ). *الأغاني*، ط١، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ١٩٩٤م/ وأخرى تحقيق: سمير جابر، ط٢، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٣-الأندلسيّ، أحمد بن محمّد بن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ). *العقد الفريد*، تحقيق: محمّد سعيد العريان، المكتبة التّجاريّة الكبرى، القاهرة، ١٩٥٣م.

٤-أحمد، صالح مصلح. *الشّامل، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعيّة (إنجليزيّ- عربيّ)*، ط١، دار عالم الكتب، الرّياض، ١٩٩٩م.

٥-أمين، أحمد .*فجر الإسلام*، دار الكتب العربيّة، بيروت، د.ت.

٦-البخاريّ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفيّ (١٩٤-٢٥٦هـ). *صحيح البخاريّ*، ط١، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٥م.

٧-البستانيّ، بطرس، *الشّعراء الفرسان*، دار المكشوف،١٩٤٤م.

٨-بو بعيد، بو جمعة، جدليّة القيم في الشّعر الجاهليّ، ٢٠٠١م.

٩-البغداديّ، عبد القادر بن عمر(ت١٠٩٣هـ).*خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*، تحقيق: محمّد نبيل طريفي وإميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٨م/ وأخرى تحقيق: عبد السّلام هارون، ط٣، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٩م.

١٠- البكريّ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسيّ(ت٤٧٨هـ). *معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*، تحقيق: مصطفى السّقا، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٥م.

١١- جار الله، زهدي، *أصول علم النّفس في الأدب العربيّ القديم*، بيروت، ١٩٧٨م.

١٢- الجارم، علي، *المفضليّات: وثيقة لغويّة أدبيّة*، ط١، دار أبها للنّشر، الرّياض،١٩٨٤م.

١٣- الجبوريّ، يحيى، *الشّعر الجاهليّ خصائصه وفنونه*، بيروت، مؤسسة الرّسالة، وكذلك طبعة (١٩٩٥م)، المعارف، ١٩٧٨م.

١٤- حجازي، مصطفى. *التّخلّف الاجتماعيّ، مدخل إلى سيكولوجيّة الإنسان المقهور*، ط٤، معهد الإنماء العربيّ، لبنان، ١٩٨٦م.

١٥- حنفي، عبد الحليم، *شعر الصّعاليك: منهجه وخصائصه*، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، د.ت.

١٦- ابن خلدون، أبو زيد، وليّ الدّين عبد الرّحمن بن محمّد التّونسيّ (ت٨٠٨هـ). *مقدّمة ابن خلدون*، تحقيق: عبد الله محمّد الدّرويش، ط١، دار يعرب، دمشق، ٢٠٠٤م.

١٧- خليف، يوسف، *الشّعراء الصّعاليك في العصر الجاهليّ*، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، د.ت.

١٨- الخواجه، إبراهيم.*عروة بن الورد، حياته وشعره*، ط٢، مطبعة النّصر، نابلس، ١٩٨٧م.

١٩- الزّركليّ، خير الدّين بن محمود بن محمد بن علي ابن فارس(ت ١٣٩٦هـ). *الأعلام*، ط١، المكتبة العربيّة، القاهرة، ١٩٢٧م.

٢٠- الزّعبيّ، منذر محمّد.*الإنسان عند الشّعراء الصّعاليك في العصر الجاهليّ*، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٨٩م.

٢١- الزّين، إبراهيم، *شرح ديوان عنترة*، دار النّجاح، د.ت.

٢٢- أبو سعيد، عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، *الأصمعيّات*، تحقيق وشرح: أحمد محمّد شاكر، دار المعارف، ١٩٩٥م.

٢٣- السّمعانيّ، أبو سعد عبد الكريم بن محمّد بن منصور التّميميّ (ت٥٦٢هـ). *الأنساب*، تحقيق: عبد الرّحمن بن المعلمي اليمانيّ وآخرون، الطّبعة العثمانيّة، دائرة المعارف العثمانيّة – حيدر آباد، ١٩٦٢م.

٢٤- السّواعير، علي.*صورة المكان في شعر الصّعاليك الجاهليّين*، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ٢٠٠٣م.

٢٥- شحادة، إبراهيم، *عروة بن الورد حياته وشعره*، ط١، ١٩٨١م.

٢٦- شكري فرحان، يوسف، *ديوان الصّعاليك*، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

٢٧- الشّلبيّ، سعيد، *الأصول الفنيّة للشّعر الجاهليّ*، مكتبة غريب، د.ت. الضّبيّ، أبو العبّاس المفضّل بن محمّد، *المفضليّات*، حقّقها ووضع فهارسها: عمر الطّباع.

٢٨- الطّائيّ، *ديوان شعر حاتم بن عبد الله وأخباره*، رواية: هشام بن محمّد الكلبيّ، تحقيق: عادل سليمان، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م.

٢٩- طه، فرج عبد القادر، وأبو النّيل محمود، وآخرون. *معجم علم النّفس والتّحليل النّفسيّ*، ط١، دار النّهضة، بيروت، د.ت.

٣٠- عبد العزيز القوصيّ، *علم النّفس: أسسه وتطبيقاته التّربويّة، كتاب الأسس العامّة (الدّوافع وسيكولوجيّة الجماعات)*، ط٧، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة، ١٩٧٠م.

٣١- العجميّ، خالد. *صورة البطل عند الشّعراء في الجاهليّة*، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنيّة، ٢٠٠٨م.

٣٢- العسقلانيّ، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ). *الإصابة في تمييز الصّحابة*، تحقيق: دار هجر، مركز هجر للبحوث.

٣٣- عطوان، حسين. *بيئات الشّعر الجاهليّ*، دار الجيل، بيروت، د.ت.

٣٤- عيسوي، عبد الرّحمن، *سيكولوجيّة الجنوح*، الإسكندرية، دار المعارف، د.ت.

٣٥- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزوينيّ (ت٣٩٥هـ). *معجم مقاييس اللّغة*، تحقيق: عبد السّلام هارون، ط٢، مطبعة البابيّ الحلبيّ، مصر،١٩٧٠م.

٣٦- القلقشنديّ أبو العبّاس شهاب الدّين أحمد بن علي ابن أحمد(ت٨٢١هـ)، *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*، المطبعة الأميريّة، القاهرة، ١٩١٤م.

٣٧- لوبون، غوستاف.*حضارة العرب*، تعريب: عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبيّ، القاهرة، ١٩٦٩م.

٣٨- المبرّد، أبو العبّاس محمّد بن يزيد(ت٨٩٨هـ). *الكامل في اللّغة والأدب*، عارضه وعلّق عليه: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ١٩٩٧م.

٣٩- محمّد أحمد، غريب، *الانحراف والمجتمع*، ١٩٩٧م.

٤٠- محمّد جابر، سامية، *سوسيولوجيا الانحراف*، دار المعرفة الأهليّة، ٢٠٠٤ م.

٤١- المسعوديّ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ). *مروج الذّهب ومعادن الجوهر*، تحقيق: محيي الدّين عبد الحميد، ط٥، دار الفكر، ١٩٧٣م.

٤٢- ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ المصريّ (ت٧١١هـ). *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.

٤٣- نبويّ، عبد العزيز، *دراسات في الأدب الجاهليّ*، ط٢، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، ١٩٨٨م.

٤٤- نبيه، منى، *مشكلات الحرية في الشّعر الجاهليّ*، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٤م.

٤٥- النّويريّ شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهّاب بن محمّد ابن عبد الدّائم القرشيّ التّيميّ البكريّ(ت٧٣٣هـ). *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ط١، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، ٢٠٠١م.

٤٦- النّيسابوريّ، الفضل أحمد بن محمّد الميدانيّ

٤٧- (ت٥١٨هـ). *مجمع الأمثال*، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م.

References:

1. The Holy Quran
2. Asbahani, Abu al-Faraj Ali bin al-Hussein bin Mohammed al-Qurashi (356 e). The songs, 1, Dar Arab heritage revival, Beirut, 1994 / and other investigation: Samir Jaber, I 2, Dar al-Fikr, Beirut,
3. Andalusi, Ahmed bin Mohammed bin Abed Rabbo (328 e). The unique contract, investigation: Mohammed Said Al-Arian, the Great Commercial Library, Cairo, 1953 m.
4. Ahmed, Saleh Musleh. Al-Shamil, Dictionary of Social Sciences (English-Arabic), 1, Dar Al-Kut Books, Riyadh, 1999.
5. Amin, Ahmad. Fajr al-Islam, Dar al-Kitab al-Arabiya, Beirut,
6. Bukhari, Abu Abdullah Mohammed bin Ismail al-Jaafee (194-256). Saheeh al-Bukhari, 1, Dar al-Jil, Beirut, 2005.
7. Albustani, Peter, poets poets, Dar Makufh, 1944 m.
8. Bou Baideh, Bou Jomaa, Dialectical Values in Pre-Islamic Poetry, 2001.Al-Baghdadi, Abdul Qadir bin Omar (d. 1093 e). The treasury of literature and the heart of the door of the tongue of the Arabs, investigation: Muhammad Nabil Tarifi and Emile Badi Yaqub, 1989.
9. Bakri Abu Obeid Abdullah bin Abdul Aziz Andalusian (T 478 e). Glossary of the names of the country and the names of the sites, the investigation: Mustafa Saga, World books, Beirut, 1945 m.
10. Jarallah, Zuhdi, Origins of Psychology in Ancient Arabic Literature, Beirut, 1978.
11. Al-Jarim, Ali, Preference: Literary Literary Document, 1, Abha Publishing House, Riyadh, 1984.
12. Jubouri, Yahya, Pre-Islamic Poetry and its Characteristics, Beirut, Al-Resala Foundation, 1995 edition, Al-Ma'arif, 1978.
13. Hijazi, Mustafa. Social backwardness, an introduction to the psychology of the oppressed human, I 4, Institute of Arab Development, Lebanon, 1986.
14. Hanafi, Abdel Halim, Poetry of the Saalik: Its Method and Characteristics, The Egyptian General Book Authority,
15. Ibn Khaldun, Abu Zeid, and Wali al-Din Abd al-Rahman ibn Muhammad al-Tounsi (d. 808 AH). Introduction by Ibn Khaldun, investigation: Abdullah Mohammed Darwish, 1, Dar Yarob, Damascus, 2004.
16. Khalif, Yusuf, The Poets of the Awqaf in the Pre-Islamic Period, The Foundation of Qur'an Sciences, Damascus,
17. Khawaja, Ibrahim. Aarwa ibn al-Ward, his life and poetry, 2, Al-Nasr Press, Nablus, 1987.
18. Zirkali, Khairuddin bin Mahmoud bin Mohammed bin Ali Ibn Fares (t 1396 e). Flags, 1, Arab Library, Cairo, 1927.
19. Al-Zu'bi, Munther Muhammad. Humanity in the Poets of the Sailors in the Pre-Islamic Age, Master Thesis, Yarmouk University, 1989.

20. Al-Zain, Ibrahim, Diwan Antara Explanation, Dar Al-Najah, T.

21. Abu Saeed, Abdul Malik bin Karib bin Abdul Malik, Asmayat, investigation and explanation: Ahmed Mohammed Shaker, Dar Maarif, 1995.

22. As-Samani, Abu Saad Abdul Karim bin Mohammed bin Mansour Al-Tamimi (562 e). Genealogy, investigation: Abdulrahman bin al-Maalmi al-Yamani et al., Ottoman edition, Department of Ottoman Knowledge - Hyderabad, 1962.

23. Al-Sawair, Ali. The image of the place in the poetry of the ignorant Sa'alik, Master Thesis, Yarmouk University, 2003.

24. Shehadeh, Ibrahim, Erwa bin al-Ward, his life and poetry, I, 1981.

25. Shukri Farhan, Youssef, Diwan Al-Saalik, 1, Dar Al-Jil, Beirut, 1992.

26. Chalabi, Said, The Technical Assets of Pre-Islamic Poetry, Ghareeb Library,

27. Al-Dabbi, Abu al-Abbas, Almoufadal Ben Mohammad, preference, achieved and the status of its indexes: Omar Tabaa.

28. Al-Taei, the book of poetry of Hatem bin Abdullah and his news, a novel: Hisham bin Mohammed al-Kalbi, investigation: Adel Suleiman, 2, Al-Khanji Library, Cairo, 1990.

29. Taha, Faraj Abdul Qader, Abu Nile Mahmoud, and others. Dictionary of Psychology and Psychoanalysis, 1, Dar al-Nahda, Beirut,

30. Abdul Aziz Al-Qusi, Psychology: Its Foundations and Educational Applications, General Principles (Motivations and Sociology of Societies), No. 7, The Egyptian Renaissance Library, Cairo, 1970.

31. Ajami, Khalid. The image of the hero when poets in ignorance, Master Thesis, University of Jordan, 2008.

32. Asqalani, Abu al-Fadl, Ahmed bin Ali bin Hajar (T 852 e). Injury in the distinction of the Companions, investigation: Dar Hager, Hager Research Center.

33. Atwan, Hussein. Pre-Islamic Poetry Environments, Dar Al-Jil, Beirut,

34. Issawi, Abdel-Rahman, Psychology of delinquency, Alexandria, Dar al-Maaref, T.

35. Ibn Fares, Abu al-Husayn Ahmad ibn Fares ibn Zakariya al-Qazwini (d 395 e). Dictionary of Language Standards, Achievement: Abdel Salam Harun, I 2, Al-Babi Al-Halabi Press, Egypt, 1970.

36. Al-Qalqashandi Abu al-Abbas Shahab al-Din Ahmad ibn Ali Ibn Ahmad (d. 821 AH), Subh al-A'shi in the construction industry, Al-Amiriya Press, Cairo, 1914.

37. Lobon, Gustav. Arab Civilization, Arabization: Adel Zu'aitar, Issa Al-Babi Al-Halabi Press, Cairo, 1969.

38. Almobared, Abu Abbas Muhammad ibn Yazid (T 898 e). Full in Language and Literature, Opposed and Commented by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, I 3, Dar al-Fikr al-Arabi, Cairo, 1997.

39. Mohamed Ahmed, Gharib, Deviation and Society, 1997.

40. Muhammad Jaber, Samia, Sociology of Deviation, Dar Al-Ma'arafa Al-Ahlia, 2004.

41. Masoudi, Abu Hassan Ali bin Hussein bin Ali (T 346 e). Gold promoter and mineral minerals, investigation: Mohieddin Abdul Hamid, I 5, Dar al-Fikr, 1973 m.

42. Ibn Manzoor, Abu al-Fadl, Gamal al-Din Muhammad ibn Makram bin the perspective of the Egyptian Evreve (v711 e). Lassan Al Arab, Dar Sader, Beirut, 2004.

43. Nabawi, Abdul Aziz, Studies in Pre-Islamic Literature, I 2, Al-Mukhtar Foundation for Publishing and Distribution, 1988.

44. Nabih, Mona, Problems of Freedom in Pre-Islamic Poetry, Master Thesis, Yarmouk University, Jordan, 2004.

45. Nuweiri Shahabuddeen Ahmed bin Abdul Wahab bin Mohammed bin Abdul Majid al-Qurashi al-Tamimi Bakri (d. 733 e). End of the Lords in the Arts of Literature, 1, National Library and Documents, Cairo, 2001.

46. Al-Nisaboori, Al-Fadl Ahmad bin

ohammed Al-Maidani .

47. Complex of Proverbs, Dar Al-Hayat Library, Beirut 1961. (v. 518 e).

الهوامش:

١-انظر ابن خلدون، وليّ الدّين أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد التّونسيّ (ت٨٠٨هـ)، مقدّمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمّد الدّرويش، دار يعرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م، المجلد الأوّل، الفصل الأوّل من الكتاب الثّاني في "أنّ العمران البدويّ والأمم الوحشيّة والقبائل"، ص٢٤٣-٢٥٠.

٢-المصدر نفسه، المجلد الأوّل، الفصل التّاسع بعنوان: (في أنّ الصّريح من النّسب إنّما يوجد للمتوحّشين في القفر من العرب ومن في معناهم)، ص٢٥٧.

٣-ثمّة أسباب كثيرة دفعت إلى وجود جماعة الصّعاليك منها داخليّة وأخرى خارجيّة؛ هيّأت الأحوال لانسلاخهم عن مجتمعهم، للتّوسع انظر تقسيم هذه الأسباب حسب: التّباين العرقيّ، والتّباين الإنتاجيّ، والتّباين السّلوكيّ في الإنسان عند الشّعراء الصّعاليك في العصر الجاهليّ، منذر محمّد الزّعبيّ، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٨٩م، ص٦-١٠.

٤- (تحقيق الذّات=Self-actualization):"تطوير قدرات الذّات، وإمكانيّات الشّخص، وقبول الذّات، والعمل على تكامل الدّوافع""، صالح مصلح أحمد، الشّامل، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعيّة(إنجليزيّ-عربيّ)، ط١، دار عالم الكتب، الرّياض، ١٩٩٩م، ص٤٨٠. ومصطلح (الذّات=Self):"يستخدم المصطلح عادة بمعنى الشّخصيّة أو الأنا، إذ يجري عدّها بمثابة عامل (Agent) يعني هويّته المستمرّة، المرجع نفسه، ص٤٨٠.

٥-لمن أراد الاستزادة انظر عبد الحليم حنفي، شعر الصّعاليك: منهجه وخصائصه، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، د.ت، ص١٧-٣٨/ يوسف خليف، الشّعراء الصّعاليك في العصر الجاهليّ، مؤسّسة علوم القرآن، دمشق، د.ت، ص١٩ – ٢١.

٦-ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور الإفريقيّ المصريّ (ت٧١١هـ). لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م، مادّة صعلك.

٧-المصدر نفسه، مادّة صعلك.

٨-ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السّلام هارون، ط٢، مطبعة البابيّ الحلبيّ، مصر، ١٩٧٠م، ٢/٢٨٦، مادة صعلك.

٩-المصدر نفسه، مادّة صعلك

١٠- للاستزادة انظر عبد العزيز نبويّ، دراسات في الأدب الجاهليّ، ط٢، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، ١٩٨٨م، ص٢٣٧ / سعيد الشّلبيّ، الأصول الفنيّة للشّعر الجاهليّ، مكتبة غريب، د.ت، ص٣٩٢.

١١- انظر الشّعراء الصّعاليك في العصر الجاهليّ، ص٥٧-٥٨.

١٢- دراسات في الأدب الجاهليّ، ص٢٤٣.

١٣- بيّن ابن خلدون طبيعة توحّش العرب، وهو فيهم طبعٌ وجبلّة، مقدّمة ابن خلدون، المجلّد الأوّل، فصل: ٢٦، عنوانه: (في أنّ العرب إذا تغلّبوا على أوطان؛ أسرع إليهم الخراب)، ص٢٨٧.

١٤- حسب علماء الاجتماع (الظّاهرة =Phenomenon): ١- حدث أو موضوع أو واقعة يمكن ملاحظتها أو إدراكها عن طريق الحواس، ٢- معطيات dennes موضوعيّة خارجيّة لها شيئيّتها ووجودها الحقيقيّ، وهي لا تستمدّ هذا الوجود من وحدة الشّعور أو من الذّات؛ ولكن من وحدة خارجيّة خاصّة بها تتمثّل في العلاقات المتبادلة بين مختلف الظّواهر"، الشّامل، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعيّة(إنجليزيّ- عربيّ)، ص٣٩٦.

١٥- الظّاهرة الاجتماعيّة =Social Phenomeno):"١-الوقائع الإمبريقيّة الّتي يمكن ملاحظتها في الحياة الاجتماعيّة للإنسان؛ أي نماذج الحوادث والسّلوك والحوادث والفكر الّتي تكوّن البيانات الأساسيّة لعلم الاجتماع. ٢-نتائج تأثير شخص أو جماعة أخرى، وتتضمّن هذه النّتائج جميع نماذج السّلوك الّتي يحدث بين النّاس وجميع المواقف الاجتماعيّة" المرجع نفسه، ص٥٠٤، "الإمبريقيّة Empircism = النّزعة التّجريبيّة: الاعتقاد بأنّ جميع المعرفة مشتقّة من التّجربة أو نتاج الخبرة"، المرجع نفسه، ص١٨٨.

١٦- (الانحراف= Deviation) "هو أي خروج عن المعيار"، فرج عبد القادر طه، ومحمود أبو النّيل وآخرون، معجم علم

١٧- لنّفس والتّحليل النّفسيّ، ط١، دار النّهضة، بيروت، د.ت، ص٧١.

١٨- انظر سامية محمد جابر، سوسيولوجيا الانحراف، دار المعرفة الأهليّة، ٢٠٠٤م، ص٥٣٩ – ٥٤٠.

١٩- انظر دراسات في الأدب الجاهليّ، ص٢٣٨– ٢٣٩

٢٠- انظر المرجع نفسه، ص٢٤٠.

٢١- مصطفى حجازي، التّخلّف الاجتماعيّ، مدخل إلى سيكولوجيّة الإنسان المقهور، ط٤، معهد الإنماء العربيّ، لبنان، ١٩٨٦م، ص٦٥.

٢٢- انظر بو جمعة بو بعيد، جدلية القيم في الشّعر الجاهليّ، الفصل الخامس، قوله: "هي فئة اجتماعيّة مستنيرة"، ٢٠٠١م، ص٦٨.

٢٣- انظر إبراهيم شحادة، عروة بن الورد حياته وشعره، ط١، ١٩٨١م، ص١٨.

٢٤- عبد الرّحمن عيسوي، سيكولوجيّة الجنوح، دار المعارف، الإسكندريّة، د.ت، ص٧٣.

٢٥- التقسيم ليوسف خليف، الشّعراء الصّعاليك، ص٩٤.

٢٦- الخَليع والخَليعُ:الرّجل يَجْني الجِناياتِ يُؤْخذ بها أَولياؤُه فيتبرَّؤُون منه ومن جنايته، ويقولون إنّا خلَعْنا فلانًا، فلا نأْخذ أَحدًا بجناية تُجْنى عليه، ولا نؤَاخَذ بجناياته الّتي يَجْنيها، وكان يسمّى في الجاهليّة الخَلِيعَ، لسان العرب، مادّة خلع.

٢٧- للتّوسّع انظر ترجمته في الأغاني، أبو الفرج الأصفهانيّ، علي ابن الحسين ت(٣٥٦هـ)، ط١، دار إحياء التّراث، بيروت، ١٩٩م. ١٤٣/١٣–١٤٨.

٢٨- انظر ترجمته في الأغاني، دار إحياء التراث ٣٤٨/١٤– ٣٥٣، هذه النّسبة إلى حداد، وهو اسم بطون من قبائل العرب، اسم أبيه عمرو، وهو من خزاعة، السّمعانيّ، أبي سعد عبد الكريم ابن محمّد بن منصور التّميميّ(ت٥٦٢هـ)، الأنساب، تحقيق: عبد الرّحمن بن المعلمي اليمانيّ وآخرون، الطّبعة العثمانيّة، دائرة المعارف العثمانيّة – حيدر آباد، ، ١٩٦٢م، ١٨٢/٢.

٢٩- هو حنظلة بن الشّرقيّ أَبو الطّمحان القينيّ، ذكر أَبو عبيدة البكريّ في شرح الأمالي أنّه كان نديمًا للزّبير بن عبد المطلب في الجاهليّة ثمّ أدرك الإسلام، العسقلانيّ، أبو الفضل، أحمد بن علي ابن حجر، ت(٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصّحابة، تحقيق: دار هجر، مركز هجر للبحوث، ترجمة رقم: ٢٠٢٠، ٥٨/٣.

٣٠- انظر ط١، دار إحياء التراث، ٥/١٣– ١١.

٣١- انظر الشّعراء الصّعاليك، ص٩٨.

٣٢- انظرالأغاني، تحقيق: سمير جابر، ط٢، دار الفكر، بيروت، ٢٠٩/١٦–٢١٨.

٣٣- انظر المصدر نفسه، دار الفكر، ١٦٣.١٦٢/٥. عبد القادر ابن عمر البغداديّ (ت١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: محمّد نبيل طريفي وإميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٨م، ٢: ١٦ – ١٨.

٣٤- انظر الأغاني، دار إحياء التّراث، ٤٦٤/٢٠–٢٧٣، للاستزادة انظرعبده بدوي، الشّعراء السّود وخصائصهم في الشّعر العربيّ. ١٩٨٨م.

٣٥- انظر ترجمته، الأغاني، دار إحياء التّراث، ٥٤/٣–٦١.

٣٦- سوء التّوافق الاجتماعيّ(Social maladjustment): "عجز الفرد أو الجماعة عن الاستجابة لمطالب البيئة الاجتماعيّة والتّصرّف وفقًا لمعايير المجتمع وقيمه"، الشّامل، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعيّة(إنجليزيّ– عربيّ)، ص٥٠٣.

٣٧- تكامل الشّخصيّة (Personality Intergration): هو تنظيم مكوّنات الشّخصّيّة وأجزائها المختلفة من أعضاء ودوافع وميول وانفعالات وخبرات وأحاسيس وتفكير وسلوك إلخ في وحدة متماسكة في جوانيها ومتناغمة في وظائفها؛ إذ يندر الشّوذ والنّشاز، ويؤدّي إلى توافق الشّخصيّة، وكلّما كانت الشّخصيّة متكاملة دلّ ذلك على ارتفاع مستوى الصّحّة النّفسيّة، انظر معجم علم النّفس والتّحليل النّفسيّ، ص١٤٣.

٣٨- انظر سوسيولوجيا الانحراف ،ص٥٤٥، و"اللا تكامل الاجتماعيّ"مقابل مصطلح(التّكامل الاجتماعيّ= Social Integration):" ١–انعدام حالة التّنافر الاجتماعيّ بين مكوّنات المجتمع،٢– توحّد المدارك والمرامي بين مكوّنات المجتمع،٣– العمليّة الّتي بواسطتها تتحقّق الوحدة الكليّة وتشمل كلّ ما ينتج عن هذه العمليّة من نتائج بالنّسبة للنّسق الاجتماعيّ، وتشمل أبعاد هذا التّكامل:التّكامل الثّقافيّ، والتّكامل المعياريّ، وتكامل الاتّصال والإجماع والتّكامل الوظيفيّ"، الشّامل،قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعيّة(إنجليزيّ– عربيّ)، ص٥٠٢.

٣٩- معجم علم النّفس والتّحليل النّفسيّ، ص١٣٣.

٤٠- (الأنا = Ego): "الأنا عند ولادة الفرد وقبل احتكاكه بالبيئة الخارجيّة يكون مجرد(هو)، وبعد ولادة الطّفل يبدأ احتكاكه بالواقع ويشرع في تمثّل مبادئه والانصياع لقيوده حتّى يتعايش معه، فلا يسحقه الواقع أو يغيّره إن هو تجاهله. وهنا يتعدّل جزء من الـ (هو) مكوّنا (الأنا) الّذي يبدأ في النّمو مع نمو خبراته وازدياد احتكاكه بالواقع" معجم علم النّفس والتّحليل النّفسيّ، ص٦٣. مصطلح الـ(هو =Id) "يمثل الجهاز الّذي يمثّل الشّخصيّة عند ولادتها قبل أن تحدث لها تحويرات أو تعديلات نتيجة لاحتكاكها

بالبيئة، ولتراكم خبراتها وتجاربها"، للاستزادة المرجع نفسه، ص٤٧٧.

٤١- سوسيولوجيا الانحراف، ص٥٤١.

٤٢- وتجدر الإشارة هنا إلى ما يسمّى(البناء الاجتماعيّ= Social Structure):"١-نوع من التّرتيب بين مجموعة نظم يعتمد بعضها على بعض، وتعتبر مكوّنات البناء الاجتماعيّ بناءات فرعيّة، والافتراض الأساسيّ هنا التّكامل أو بقاء الكلّ يعتمد على العلاقات بين الأجزاء وأدائها وظائفها،٢- يستخدم هذا المصطلح في المدخل الوظيفيّ البنائيّ كمرادف لـ(التّنظيم الاجتماعيّ)"، الشّامل، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعيّة(إنجليزيّ-عربيّ)، ص٥٠٧.

٤٣- (الاغتراب = Alienation) يشير علماء النّفس والطّبّ النّفسيّ إلى (الاغتراب العقليّ = Mental Alienation) وهو جملة من الأعراض الّتي يبدو معها الفرد وكأنّه غريب عن المجتمع الّذي يعيش فيه؛ إذ تزداد الهوّة بينه وعالمه، معجم علم النّفس والتّحليل النّفسيّ، ص٥٩.

٤٤- للتّقصي انظر الشّعراء الصّعاليك، ص١٠٣.

٤٥- انظرالمرجع نفسه، ص١٠٦/ انظر الشّعر الجاهليّ، خصائصه وفنونه، ص٥٩.

٤٦- الهجين: هو عربيّ ولد من أمَة أو مَن أبوه خير من أمه، والهجين أيضًا: اللّئيم، اللّسان، مادة هجن.

٤٧- أغربة العرب: سودانهم، فشبهوا بالأغربة في لونهم، اللّسان، مادة غرب.

٤٨- انظر الأغاني، ٤٦٥/٢٠.

٤٩- سبقت الإحالة إلى ترجمته في حاشية سابقة.

٥٠- هي ظاهرة سمّاها "يوسف خليف" (العصبيّة النّسائيّة في حياة أغربة العرب)؛ ومردُّ ذلك لإنكار آبائهم لهم، ونشأتهم في رعاية أمهاتهم أو في إهمالهن، فتعصّبوا لذلك،انظرالشّعراء الصّعاليك، ص ١١٢.

٥١- (انظر ترجمته في الأغاني، دار إحياء التّراث، ٣٤٨/١٤-٣٥٣.

٥٢- انظر المصدر نفسه، ١٦٢/٥

٥٣- انظر المصدر نفسه، ٤٦٧/٢٠.

٥٤- انظر المصدر نفسه، ٤٦٨/٢٠.

٥٥- انظر معجم علم النّفس والتّحليل النّفسيّ، ص١٥.

٥٦- انظر المرجع نفسه، ص١٥.

٥٧- (الأنا الأعلى) جانب من (الأنا) بعد التّعديل نتيجة اعتناق الفرد للمبادئ، وامتصاصه للأوامر والنّواهي والمثل العليا والمعايير الّتي تأتيه من أبويه، ومن يقوم مقامهم في المجتمع، ويرى "فرويد"أنّ(الأنا الأعلى) تقوم بثلاثة وجوه من النّشاط: مراقبة الذّات، وإقامة المثل العليا، والضّمير الخلقيّ. انظر المرجع نفسه، ص٦٣.

٥٨- تمّ تفسير (الأنا) في حاشية سابقة.

٥٩- عالم اجتماع.

٦٠- انظر سوسيولوجيا الانحراف، ص٥٢-٥٣.

٦١- انظر بطرس البستانيّ، الشّعراء الفرسان، دار المكشوف، ١٩٤٤م، ص١٨٢.

٦٢- انظر سوسيولوجيا الانحراف، ص٥٦-٥٨.

٦٣- سيكولوجيّة الجنوح، ص٢٥.

٦٤- انظر غريب محمّد أحمد، الانحراف والمجتمع، ١٩٩٧م، ص٣٨.

٦٥- انظر جدلية القيم والشّعر الجاهليّ، ص٨٤- ٨٥

٦٦- يقول معديكرب في "الجُبن والفرار": "الفزعات ثلاث: فمن كانت فزعته في رجليه؛ فذلك الّذي لا تقلّه رجلاه، ومن كانت فعته في رأسه؛ فذلك الّذي يفرّ من أبويه، ومن كانت فزعته في قلبه؛ فذلك الّذي يقاتل"، الأندلسيّ أحمد بن محمّد بن عبد ربه (ت٣٢٨هـ)، العقد الفريد، تحقيق: محمّد سعيد العريان، المكتبة التّجاريّة الكبرى، القاهرة، ١٩٥٣م، ٩٨/١.

٦٧- مقدّمة ابن خلدون، المجلّد الأوّل، الفصل: ٥، عنوانه: (في أنّ أهل البدو أقرب إلأى الشّجاعة من أهل الحضر)، ص٢٥١.

٦٨- عبد العزيز القوصيّ، علم النّفس: أسسه وتطبيقاته التّربويّة، كتاب الأسس العامّة (الدّوافع وسيكولوجيّة الجماعات)، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة، ط٧، ١٩٧٠م، ص١٩٤.

٦٩- انظر عبد العزيز نبويّ، دراسات في الأدب الجاهليّ، ص ٤٦.

٧٠- مقدّمة ابن خلدون، المجلّد الأوّل، الكتاب الثّاني، الفصل ٢١، بعنوان: "في أنّه إذا كانت الأمّة وحشيّة؛ كان ملكها أوسع"، ص٢٨٠.

٧١- المصدر نفسه، المجلّد الأوّل، الكتاب الثّاني، الفصل ٢٥، بعنوان: "في أنّ العرب لا يتغلّبون إلا على البسائط"

٧٢- تسنّم الهضبة: أي علاها، والتّسنّم: الأخذ مغافصة، أي على حين غرّة.

٧٣- المكانة الاجتماعيّة=Social status):"الوضع الّذي يشغله الفرد أو الأسرة أو الجماعة القرابيّة في النّسق الاجتماعيّ بالنّسبة للآخرين، وقد يحدّد هذا الوضع الحقوق والواجبات، وأنواع السّلوك الأخرى بما في ذلك طبيعة ومدى العلاقة بأشخاص آخرين لهم مكانات مختلفة"،الشّامل، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعيّة(إنجليزيّ- عربيّ)، ص٥٠٧.

٧٤- إبراهيم الزّين، شرح ديوان عنترة، دار النّجاح، ص٢١٣.
٧٥- المرجع نفسه، ص٤٠.
٧٦- للتّوسع انظر منى نبيه، مشكلات الحرية في الشّعر الجاهليّ، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ٢٠٠٤م، ص٣٦
٧٧- (الامتثال=المطابقة=الانسجام=Conformity):"١-العمل طبقًا للمعايير،٢-العمل طبقًا للمعايير المعروفة للفرد،٣-الاستسلام لضغوط الجماعة لتبنّي المعتقدات أو السّلوك السّائد بها،٤-قبول الفرد للأهداف الثّقافيّة والوسائل النّظاميّة في المجتمع"، الشّامل، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعيّة (إنجليزيّ- عربيّ)، ص١١٣.
٧٨- النّيسابوريّ الفضل أحمد بن محمّد الميدانيّ ت(٥١٨هـ) مجمع الأمثال، دار مكتبة الحياة، بيروت،١٩٦١م، ٩٠/٢.
٧٩- "الّذين انتهى إليهم الجود في الجاهليّة ثلاثة نفر: حاتم بن عبد الله بن سعد الطّائيّ، وهَرِم بن سنان المُرّي، وكعب بن أمامة الإياديّ؛ ولكن المضروب به المثل هو حاتم، أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد (ت٨٩٨هـ)، الكامل في اللّغة والأدب، عارضه وعلّق عليه: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ١٩٩٧م، ١٩٧/١.
٨٠- ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطّائيّ وأخباره، رواية: هشام بن محمّد الكلبيّ، تحقيق: عادل سليمان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م، ص٢٢٥.
٨١- تأبط شرًا ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير الفهميّ (ت٨٠ ق هـ)، من مضر: شاعر عدّاء، من فتّاك العرب في الجاهليّة، من أهل تهامة، انظر خير الدّين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزّركليّ (ت ١٣٩٦هـ) الأعلام، المكتبة العربيّة، القاهرة، ط١، ١٩٢٧م، ٩٧/٢.
٨٢- العلاّمة أبو العبّاس المفضّل بن محمد الضّبيّ، حقّقها ووضع فهارسها عمر الطّباع، المفضليّات، ١٤٧/١.
٨٣- مجمع الأمثال، ٤٣٠/١.
٨٤- هو السّليك بن عمرو، وقيل ابن عمير بن يثربى، أحد بني مقاعس وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، والسّلكة أمّه، وهي أمة سوداء، وهو أحد أغربة العرب، وأحد الصّعاليك العدّائين، وهو أحد أربعة رجال كان يحذرهم عمرو بن معديكرب، انظر البغداديّ، عبد القادر، خزانة الأدب ولبّ لباب العرب، تحقيق: عبد السّلام هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٩م، ٤٤٥/٥.
٨٥- مجمع الأمثال، ٤٣١/١.
٨٦- ديوان الصّعاليك، شرح يوسف شكري فرحان، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص ١٤٤. ١٤٥/علي الجارم، المفضليّات: وثيقة لغوية أدبية، دار أبها للنّشر، الرّياض، ط١، ١٩٨٤م، ص٢٤٨.
٨٧- للتّوسع انظر حسين عطوان، بيئات الشّعر الجاهليّ، دار الجيل، بيروت، د.ت.
٨٨- انظر الأغاني، دار إحيار التّراث، ٣٥٣/١٤.
٨٩- ومن ليالي العرب المشهورة "ليلة الخلعاء: وهى ليلة باتها أبو الطّمحان القينىّ عند ديرانيّة، فأكل طفيشلها بلحم الخنزير، وشرب خمرها، وزنى بها، وسرق كساءها"، أحمد بن عبد الوهّاب بن محمّد ابن عبد الدّائم القرشيّ التّيميّ البكريّ، شهاب الدّين النّويريّ(ت٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، ٢٠٠١م، ١٣٣/١.
٩٠- الكامل في اللّغة والأدب، ٤٤/١.
٩١- انظر الأغاني، دار إحياء التّراث، ٥/١٢.
٩٢- انظر المصدر نفسه، ٥/١٣-٦.
٩٣- المصدر نفسه، ١١/١٣.
٩٤- المرقال: النّاقة تسرع في سيرها، من الإرقال: هو ضرب من العدو/ ائتب: تهيأ للذّهاب وتجهّز.
٩٥- انظر الشّعراء الصّعاليك، ص٨٩.
٩٦- انظر الأغاني، دار الفكر، ١٤٣/١٠ / أبو سعيد عبد الملك ابن قريب بن عبد الملك، الأصمعيّات، تحقيق وشرح: أحمد محمّد شاكر، دار المعارف، ص١٩٩٥م، ص١٠٧.
٩٧- انظر يحيى الجبوريّ، الشّعر الجاهليّ خصائصه وفنونه، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ١٩٧٨م، ص٦١.
٩٨- الجوار: إعطاء الرجل ذمةً يكون بها جاره ويجيره والجار أيضاً الحليف.
٩٩- انظر سعيد الشّلبيّ، الأصول الفنية للشّعر الجاهليّ، مكتبة غريب، د.ت، ص٣٩٣.٣٩٤.
١٠٠- انظر عروة بن الورد حياته وشعره، ص٥٠-٥٥.
١٠١- مقدّمة ابن خلدون، المجلد الأوّل، الفصل الثّاني، بعنوان: "في أنّ جيل العرب في الخلقة طبيعيّ"، ص٢٤٦.
١٠٢- انظر جدلية القيم في الشّعر الجاهليّ، ص٧٢.
١٠٣- انظر زهدي جار الله، أصول علم النّفس في الأدب العربيّ القديم، بيروت، ١٩٧٨م، ص٩٠.
١٠٤- الكامل في اللّغة والأدب، ١١١/١.
١٠٥- المُشاش: العظام الرّقيقة، المَجزر: موضع الجزر.
١٠٦- انظر معجم علم النّفس والتّحليل النّفسيّ، ص١٣١.
١٠٧- البقرة ١: ٢٧٦.
١٠٨- يقول صاحب صبح الأعشى:"أن يرتب من البلد إلى البلد خفراء ينزلون ببيوت شعر على الطّرقات على البلدين، يخفرون

الرّائح والغادي؛ وأي من عدم له شيء يلزمه دركه، وينادى في البلاد أن لا يسافر أحد في اللّيل ولا يغرّر، ولا يسافر النّاس إلا من طلوع الشّمس إلى غروبها، ويؤكّد في ذلك التّأكيد التّامّ"، القلقشنديّ أبو العبّاس شهاب الدّين أحمد بن علي بن أحمد(ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميريّة، القاهرة، ١٩١٤م، ٥/٤٩٠.

١٠٩- الكامل في اللّغة والأدب، ١/١١١.

١١٠- الأنعام ٦: ١٥١.

١١١- انظر الشّعراء الصّعاليك، ص١٤-١٤٨.

١١٢- المسعوديّ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ)، مروج الذّهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محيي الدّين عبد الحميد، ط٥، دار الفكر، ١٩٧٣م، ٢/٦٣.

١١٣- القول لـ"ديفرجة"، "غوستاف لوبون"، حضارة العرب، تعريب: عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبيّ، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٩٢.

١١٤- أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتب العربيّة، بيروت، ص٢٧.

١١٥- للاستزادة انظر علي السّواعير، صورة المكان في شعر الصّعاليك الجاهليّين، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ٢٠٠٣، الفصل الثاني ص ٤٣-١١٤.

١١٦- ومن أخبار نزولهم مواقع الخصب، "وقال عروة بن الورد: أقول لقوم بالكنيف تروحوا... عشية قلنا عند ماوان رزّح، قال أبو حاتم: ماوان: وادٍ غلب عليه الماء، فسمّي ماوان، وهو فيما بين الرّبذة والنّقرة، وكانت منازل بني عبس فيما بين أبانين، والنّقرة، وماوان، والرّبذة، هذه منازلهم"، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكريّ الأندلسيّ(ت٤٧٨هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السّقا، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٥م، باب الميم والألف، ١/١١٧٧، ١١٧٨.

١١٧- ديوان الصّعاليك، ، ص٨٥.

١١٨- شتٍّ وعرعر: نوعان من الشّجر.

١١٩- انظر أخباره في الأغاني، ١٣/ ١٤٣ – ١٤٦.

١٢٠- انظر المصدر نفسه، دار الفكر، ٥/ ١٦٣.

١٢١- ولمزيد من التّفصيل في أخبار عروة الصّعاليك، انظر إبراهيم الخواجه، عروة بن الورد، حياته وشعره، ط٢، مطبعة النّصر، نابلس، ١٩٨٧م.

١٢٢- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، باب الميم والهمزة، ١/١١٧٠.

١٢٣- جأش: أرضٌ قريبٌ من مأرب"، ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، باب الميم والهمزة، ١/١١٧٠.

١٢٤- الرّهبة:الخوف والفزع، اللّسان، مادة رهب، الإرهابيون: وصف يطلق اليوم على من يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق مآرب سياسيّة.

١٢٥- صحيح البخاريّ، ط١، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٥م، كتاب المناقب،باب: علامات النّبوّة في الإسلام/حديث:٣٦١٢، ص٧١٥.